ثقافة إسلامية

ثقافة إسلامية

د. الحسيني أبو فرحه

الجزء الأول

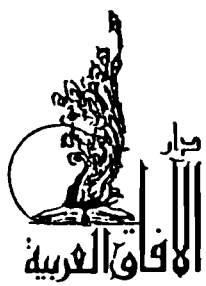

الطبعة الأولى
١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م
جميع الحقوق محفوظة للناشر

رقم الإيداع : ٩٨/ ٢٩٧٢

الترقيم الدولي : I.S.B.N.
977 - 57 - 27 - 19 - 7

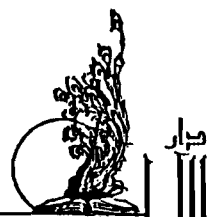

دار الآفاق العربية
٥٥ شارع محمود طلعت من شارع الطيران - مدينة نصر
القاهرة - ت : ٢٦١٠١٦٤

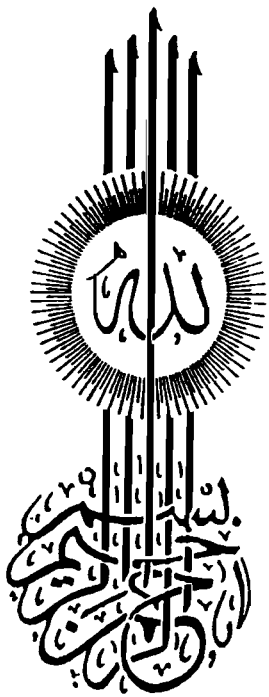

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الجزء الأول

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه.

وبـــعد

فحاجة المسلم إلي الثقافة الاسلاميه ماسة ملحة مهما كان تخصصه وعمله في الحياة فهو أولا وقبل كل شئ مسلم. أنزل الله عز وجل الإسلام علي حبيبه ﷺ من قرآن وسنة وحديث قدسي لهدايته وسيسأل بين يدي الله عز وجل عن موقفه من الإسلام وعمله به.

من هنا كانت الحاجة ماسه ملحة للثقافة الإسلامية. بالنسبة للمسلمين جميعاً. مهما اختلفت تخصصاتهم وعملهم في الحياة.

وفي هذا الكتاب طرف من هذه الثقافة بأسلوب سهل مُيَسّر. وأصله إجابه عن أسئلة وُجّهتَ لي. في مناسبات مختلفة. معظمها يتصل بتفسير آيات من القرآن الكريم.

وقد رجعت إلي المصادر الأصيله في التفسير. ولم أنس الرجوع إلي المصادر الحديثه. مع ما منحني الله عز وجل من فهم في كتابه. في حدود قواعد التفسير التي ذكرها السادة أئمة التفسير. وفيه كذلك شرح لبعض الأحاديث النبويه الشريفة خاصة والقرآن يفسر أولاً بالقرآن. ثم يفسر بالسنه النبويه الشريفه ثم يفسر بلغة العرب التي أنزل بها القرآن.

أسأل الله عز وجل أن ينفعني به في دنياي وأخراي وأن يتقبله خالصا لوجهه سبحانه. وأن ينفع به قارئه كذلك في دنياه وأخراه. إنه سميع قريب مجيب.

الدكتور / الحسيني أبو فرحه

رئيس قسم التفسير جامعة الأزهر

وعميد كلية الدعوه الإسلاميه الأسبق

السُّور المفضلة قراءتها في القرآن الكريم؟
والساعات والأيام المفضلة قراءتها فيها ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه .

وبعد :

فالقرآن كله خير وبركة . يتعبد بتلاوته . قال ﷺ: « من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنه والحسنة بعشر أمثالها . لا أقول :ألم . حرف . ولكن ألف حرف . ولام حرف . وميم حرف» ويهتدي بهديه، ويعمل بأحكامه . قال تعالي ﴿قد جآءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من أتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلي النور بإذنه ويهديهم إلي صراط مستقيم ﴾ (المائدة : ١٥ ، ١٦)

ومع ذلك فقد وردت نصوص نبويه تشير إلي مزيد فضل لبعض الآيات والسور، وتحض علي الإكثار من تلاوتها . من ذلك ما رواه البخاري بسنده عن أبي سعيد رافع ابن المُعَلَّى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :« ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ؟» فأخذ بيدي . فلما أردنا أن نخرج قلت: يارسول الله إنك قلت: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن . قال: «الحمد لله رب العالمين . هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيتهُ ».

ومن ذلك في فضل سورة الأخلاص أن رسول الله ﷺ قال في : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ (الإخلاص:١) « والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلثَ القرآن ».

ومن ذلك في فضل قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة في الليل: قال ﷺ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» متفق عليه .

قال العلماء: المعني: كفتاه المكروه تلك الليلة . وقيل: كفتاه من قيام الليل . ولا مانع من حصول الفائدتين معاً .

ومن ذلك أن قراءة سورة البقرة في البيت تطرد الشياطين منه . قال ﷺ: «لا

تجعلوا بيوتكم مقابر. إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة» رواه مسلم

وآيه الكرسي أعظم آيه في كتاب الله. عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :« يا أبا المنذر أتدري أيّ آية من كتاب الله معك أعظم؟» قلت : الله لا إله إلا هو الحيُّ القيوم. فضرب في صدري وقَال :لِيَهنِكَ العلمُ أبا المنذر» رواه مسلم . وهي مطردة للشيطان. ففي حديث أبي هـريرة الطويل يقول : عن الشيطان الذي كان يسرق منه التمر: قلت : يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها. فخليت سبيله. قـال : «ما هي ؟» قلت قال لي : إذا أويت إلي فراشك فـأقرأ آيه الكرسي من أولها حتي تختم الآيه. وقـال لي : لا يزال عليك من الله حافظ، ولن يقربك الشيطان حتي تصبح. فقال النبي ﷺ:« أما انه قد صدقك وهو كذوب .

أتدري من تخاطب منذ ثلاث يا أبا هر ؟ إنه الشيطان »رواه البخاري. والله أعلم.

****

[تقسيم الله الناس إلي مؤمنين. وكافرين ومنافقين ووصف كل منهم.]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمـن الرحيم ﴿ الم * ذلك الكتـاب لا ريب فيـه هدي للمتـقين ﴾ (البقرة: ١، ٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصـلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصـحبه ومن والاه وبعد: فإن الإقدام علي تفسير كـتاب الله. إقدام علي أمر خطير. إنه إقدام علي الحكم علي مراد الله من كلامه عز وجل.

وليس لإنسـان أن يقدم علي ذلك إلا أن يدرس علومـاً شتي تحتـاج إلي سنوات طوال، وأن يجلس بين يدي أهل القـرآن ليأخذ عنهم تفسـير كتـاب الله، وأن يعمل بما علم حتي يرزقه الله فهماً في كـتابه، وأن يدرس سنة المصطفي ﷺ فهي شارحه القرآن

ومبيته.. قال تعالي: ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانُزّل إليهم ﴾ (النحل:٤٤). ومن أقدم علي تفسير كتاب الله بدون ذلك فقد قال في القرآن برأيه، ومن قال في القرآن برأيه فقد هلك قال ﷺ « من قال في القرآن برأيه فقد هلك »وقال ﷺ « من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ »

[وإني أسأل المولي عز وجل توفيقا وسدادا وهداية ورشادا وفقها في كتابه. وأبرأ من حولي وقوتي إلي حول الله وقوته]

[أخي المسلم إن سورة البقرة هي أكبر سورة في كتاب الله تعالي، وهي الثانية في ترتيب المصحف بعد فاتحة الكتاب. وقد ورد في فضلها عن رسول الله ﷺ الكثير] من ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال:« البقرة سنام القرآن وذروته. نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا. واستخرجت ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ من تحت العرش فوصلت بها ».

ومن ذلك ما رواه مسلم وغيره عنه ﷺ قال « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً فإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان »

وعنه ﷺ قال: « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه » متفق عليه.

وبحسبنا هذا في التعريف بفضل هذه السورة.

وأما قوله تعالي ﴿ ألم ﴾ فقد أفاض المفسرون في تفسيرها والرأي الراجح عند جمهور العلماء أنها أسماء لحروف من حروف المعجم، جئ بها للإشارة إلي أن القرآن مكون من نفس الحروف التي ينظم منها العرب كلامهم، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله.

فهذه الحروف المقطعة في أوائل السور جئ بها للإشارة إلي هذا الوجه من وجوه إعجاز القرآن.

وقوله تعالي بعد ذلك: ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه. هدي للمتقين ﴾ جمل ثلاث متواليه للتعريف بالقرآن الكريم. فقوله ﴿ ذلك الكتاب ﴾ أي الذي وعد به علي لسان موسي وعيسي عليهم وعلي نبينا الصلاة والسلام وقوله ﴿ لا ريب فيه ﴾ أي لا شك

فيه، ومن شك فيه فشكه مرفوض غير مقبول .لوضوح دلالته علي صدق الرسول ﷺ فهو كلام الله حقاً، فقد تحدي العرب به مرارا وتكرار كما تحدي به الإنس والجن، فعجزوا عن الإتيان بمثله. قال تعالي: ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن علي أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** ﴾ (الإسراء : ٨٨) وقوله ﴿ **هدي للمتقين** ﴾ صفة أخري للقرآن الكريم ،وهي أبرز صفاته فهو كتاب هدايه وإرشاد لمن يتبعه، وحجه علي من أعرض عنه. قال تعالي ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدي وشفاءٌ والذين لا يؤمنون في آذانهم وقرٌ وهو عليهم عمي أولئك ينادون من مكان بعيد** ﴾ (فصلت : ٤٤) صدق الله العظيم

ثم يقول تعالي ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون** ﴾ (البقرة:٣،٤) في هذه الآيات تفصيل لصفات المتقين.

والتقوي كلمة جامعة: يقصد بها أداء الفرائض واجتناب النواهي وقد نص القرآن هنا علي بعض صفات المتقين فقال: ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب** ﴾ ويدخل في الغيب كل ما غاب عنا مما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فيدخل في الإيمان بالغيب كما قال أبو العاليه، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار. والقضاء والقدر.

والإيمان بالغيب أعلي درجات الإيمان.

وهو واجب علي كل من صدق بنبوته ﷺ فما دام الإنسان قد صدق بنبوته ﷺ فيجب عليه أن يصدقه في كل ما جاء به وليس للعقل هنا محل، فعمل العقل قد انتهي بالتصديق بنبوته ﷺ ويجب علي المسلم بعد ذلك كمال المتابعة. فالحسن ما جاء به الشرع والقبيح ما قبحه الشرع.

والصفة الثانية من صفات المتقين.

هي إقام الصلاة، أي أداءها في أوقاتها كاملة غير منقوصة، مع كمال حضور القلب فيها مع الله، والبعد عن وساوس الشيطان التي يقذف بها في قلب المصلي ليشغله بها عن صلاته قائلاً له اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكره حتي لا يدري كم

صلي، وأنما يصلي وقلبه مع ربه، منشغل بمعاني قراءته وتسبيحه وتكبيره. فالصلاة معراج الروح.

والخصلة الثالثة من خصال المتقين.

هي الإنفاق في سبيل الله وتشمل هذه الخصلة الزكاة وغيرها من الصدقات، ونفقة الرجل علي أهله وولده وسائر من تلزمه نفقته.

فالإنفاق علي الأهل والولد يؤجر عليه المنفق كما يؤجر علي الصدقه علي الفقير والمسكين، إذا قصد بذلك وجه ربه واكتسب من حِلّ وأنفق غير مسرف ولا مقتر.

والخصلة الرابعة من خصال المتقين.

هي إيمانهم بما أنزل علي رسول الله ﷺ من كتاب وسنة، وما أنزل علي من قبله من رسل الله وهذه الخصله أشمل الخصال وأعمها .

فنحن مطالبون بالإيمان بجميع ما أنزل علي رسول الله ﷺ كما أننا مطالبون بالإيمان بأن الله أرسل قبل نبينا رسلاً وأنزل عليهم كتباً، غير أن كتابنا خاتم هذه الكتب ونبينا خاتم النبيين والمرسلين.

قال تعالي :﴿ **يا أيها الذين آمَنُوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل علي رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل**﴾ (النساء:١٣٦) كما قال تعالي: ﴿ **قولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهُنا وإلهكم واحدٌ ونحن له مسلمون** ﴾ (العنكبوت:٤٦) صدق الله العظيم.

ثم يقول تعالي ﴿ **أولئك علي هدي من ربهم وأولئك هم المفلحون، إن الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون، ختم الله علي قلوبهم وعلي سمعهم وعلي أبصارهم غشاوةٌ ولهم عذاب عظيم** ﴾ (البقرة :٥ ـ ٧) .

بعد أن فصل تعالي صفات المتقين ،أشار اليهم مكرما لهم ومثنياً عليهم ومبيناً علو مكانتهم، لأنهم علي هدي من ربهم والهدي في نفسه مطلوب، وكونه من الرب سبحانه أشد طلباً .

وأبعد أثراﷺ **إن الهدي هدي الله**﴾ (آل عمران :٧٣) وخصهم دون غيرهم بالفلاح.

ومن يصفه الله بالفلاح فهو المفلح حقاً.

وكثير من الناس يعتقد أنه قد أفلح وأحسن صنعاً، وما أفلح وما أحسن صنعاً. قال تعالي: ﴿ **قل هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالا * الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً** ﴾ (الكهف:١٠٣، ١٠٤)

وبعد أن وصف تعالي المؤمنين. وأثني عليهم بما أثني، أتبع ذلك بالحديث عن الكافرين فقال عز من قائل: ﴿ **إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾ .والمراد بالكافرين هنا أناس معينون علم الله سبحانه أنهم سيموتون علي الكفر كأبي جهل وأبي لهب، ومثل هؤلاء لا ينتفعون بإنذار كما قال تعالي في آية أخري والقرآن يفسر بعضه بعضاً قال تعالي ﴿ **إن الذين حقّت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جآءتهم كل آية حتي يروا العذاب الأليم** ﴾ (يونس:٩٦،٩٧). وأما غير هؤلاء من الكافرين فينذرون، عسي الله أن ينفعهم بما يسمعون .

قال ابن كثير:(كان رسول الله ﷺ يحرص علي أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه علي الهدي، فأخبره الله تعالي أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاوة في الذكر الأول) (ابن كثير: (١/ ٤٥).

قال تعالي ﴿ **ولو شآء ربُّك لآمن من في الأرض كلهم جميعا.** ﴾ (يونس:٩٩).

وأشار تعالي إلي سبب عدم إيمان هؤلاء الكفار بقوله ﴿**ختم الله علي قلوبهم وعلي سمعهم.وعلي أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم** ﴾ قال قتادة: استحوز عليهم الشيطان إذأطاعوه. فختم الله علي قلوبهم وعلي سمعهم. وعلي أبصارهم غشاوة، فهم لا يبصرون هدي ولا يسمعون ولا يفقهون ولا يعقلون.

وقد ورد في القرآن وصف القلوب بالران تارة والختم أخري والطبع ثالثة، والختم هنا بمعني الطبع .

قال مجاهد: الران أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الإقفال، والإقفال أشد من ذلك كله.

قال رسول الله ﷺ «إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكته سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستعتب صقل قلبه، وإن زاد زادت حتي تعلو قلبه فذلك الران الذي قال الله

تعالي ﴿ كلا بل ران علي قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ رواه الترمذي والنسائي.

وبعد إذ بين تعالي أن منافذ الانتفاع بالإنذار قد أغلقت بالنسبة لهؤلاء الكافرين المعينين، ذكر ما أعده لهم من عذاب عظيم.

يخصهم به لكفرهم وعنادهم، ووصف العذاب بالعظم من المولي عز وجل فيه من الترويع والتفزيع الكثير.

ثم يقول تعالي﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر، وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ (البقرة:٨،٩).

وبعد ما تقدم: فقد شرع المولي عز وجل في تفصيل صفات المنافقين. بعد أن فصل فيما سبق من آيات صفات المؤمنين والكافرين.

وقد فصل تعالي صفات المنافقين هنا في ثلاث عشرة آية، لئلا يغتر بظاهرهم المؤمنون فيقع بذلك فساد كبير، فإنهم يخالطون المؤمنين ويصلون صلاتهم، يخالطونهم وهم يضمرون الكفر وإن تظاهروا بالإيمان فضررهم علي المؤمنين كبير.

ولذلك فعقوبتهم عند الله شديدة أشد عقوبة ممن يظهر الكفر قال تعالي: ﴿ إن المنافقين في الدّرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا﴾ (النساء:١٤٥) وذلك لإنهم كفار وزيادة. فقد جمعوا إلي الكفر الخداع ولذلك كانت عقوبتهم في الآخرة أشد.

وقد ابتلي المسلمون في صدر الإسلام في العهد المدني بالمنافقين لما عز الإسلام وانتصر المسلمون يوم بدر، فقد تظاهر بالإسلام آنذاك عبد الله بن أبي بن سلول وشيعته قائلاً: هذا أمر قد توجه وبذا بدأ النفاق.

وكان ﷺ يعلم بعض المنافقين بأعيانهم، ولكنه لا يعلم جميعهم وإنما يميزهم بما أعلمه الله من صفاتهم. قال تعالي: ﴿ ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينةَ مَرَدُوا علي النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾ (التوبة:١٠١) كما قال تعالي: ﴿ولو نشاءُ لأَرَيْنَاكَهُم فلعرفتهم بسيمَاهُم، ولتعرِفنَّهمُ في لحن القول ﴾ (محمد:٣٠) وقد سمي ﷺ الأربعة عشر منَافقا الذين هموا أن يفتكوا به في غزوة تبوك: في ظلماء الليل عند عقبة هناك فلقد عزموا علي أن ينفّروا به الناقة ليسقط عنها، فأوحي الله إليه أمرهم، فأطلع علي ذلك حذيفة بن اليمان.

وقد كفّ ﷺ عن قتل المنافقين مع كفرهم وخطورتهم علي المؤمنين، فهم وعدو مخالط، وهم أشبه بالطابور الخامس في صفوف المسلمين، فهم عيون الكفار، يطلعونهم علي عورات المسلمين.

كف ﷺ عنهم مع خطورتهم، حتي لا يتحدث الناس عنه أنه يقتل أصحابه، فينفر من لم يدخل في الإسلام بعد عن الدخول فيه، روي الصحيحان عنه ﷺ قوله لعمر في ذلك «أكره أن يتحدث العرب أن محمدا يقتل أصحابه» وذلك لأنهم يظهرون الإسلام وإن أبطنوا الكفر.

والنفاق ينقسم إلي قسمين: إعتقادي، هو الذي يخلد صاحبه في النار، وعملي: وهو من أكبر الذنوب.

والآيات التي معنا تتحدث عن النفاق الاعتقادي، وتبين لنا أن هؤلاء المنافقين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر معتقدين بجهلهم أنهم يخدعون الله بذلك وأن ذلك نافعهم عنده، وأنه يروج عليه كما قد يروج علي بعض المؤمنين وقد ضلوا في ذلك ضلالاً كبيرا، فهم أنما يخدعون أنفسهم بنفاقهم حيث يظهر لنفسه أنه يعطيها أمنيتها بنفاقه، ويسقيها كأس سرورها. وهو بذلك يوردها موارد التهلكة إنه بنفاقه يدخلها الدرك الأسفل من النار أعاذنا الله وإياكم من ذلك .

ثم يقول تعالي: ﴿ **في قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون* وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون** ﴾ (البقرة:١٠ ـ ١٢)

يذكر تعالي من صفات المنافقين التي حدثنا عنها في هذه الآيات وجود مرض في قلوبهم. قال عنه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: (هذا مرض في الدين وليس مرضا في الأجساد. وهم المنافقون والمرض الشك الذي دخلهم في الإسلام. فزادهم الله مرضاوالجزاء من جنس العمل) وقد جمعوا إلي مرضهم هذا الكذب، فهم كذبة ويكذبون بالغيب، ومن هنا توعدهم الله بأليم عذابه بسبب كذبهم في دعوي الإيمان وما هم بمؤمنين وتكذيبهم بالغيب بقلوبهم مع وجود الأدلة عليه.

وإن كذبا علي الله ورسوله. ليس كغيره من الكذب.

وهؤلاء كذبوا علي الله ورسوله. كما كذبوا علي المؤمنين أيضاً.

وكذبهم علي الله ورسوله ﷺ شائع ذائع. ولقد فضح الله كذبهم بقوله تعالي ﴿إذا جآءك المنافقونَ قالوا نشهدُ إنك لرسولُ الله واللهُ يعلمُ إنك لرسولهُ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ (المنافقون: ١). فقد كذبوا علي الله ورسوله ﷺ وتبجحوا في كذبهم حيث أكدوه بمؤكدات عديدة، أكدوه بلفظ الشهادة وأداة التوكيد. ولام التوكيد، وقد فضح الله كذبهم مؤكداً كذبهم بنفس المؤكدات التي أكدوه بها .

ألا ما أقبح الكذب علي الناس. وما أشد قبحه علي الله ورسوله ﷺ

ومن صفات المنافقين أيضاً الإفساد في الأرض. بمعصيتهم لله تعالي .

فصلاح الأرض والسماء بالطاعة التامة لقيوم السموات والأرض ومدبر الأمر فيها. فمن عصاه. فقد أفسد.

والمنافقون عصاه لله بنفاقهم أولاً وعصاة لله بما يرتكبونه من أعمال كثيرة لنفاقهم ثانياً، فقد انسحبوا من المعركة يوم أحد والمسلون قلة والمشركون كثرة، وهذا فساد كبير. واحتجوا كاذبين بقولهم﴿ لو نعلمُ قتالاً لاتّبعناكم ﴾ (آل عمران: ١٦٧).

وهموا بإشاعة الفتنة في صفوف المسلمين في غزوة بني المصطلق .

هذا أجير لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقتتل علي الماء مع سنان بن يزيد فيستنصر أجير سيدنا عمر بالمهاجرين ويستنصر سنان بالأنصار.

ويصل الأمر إلي ابن أبي زعيم المنافقين، فيلفظ في الحال سخائم صدره، ويحرض المنافقين علي المسلمين: قائلاً: مامثلنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول سمن كلبك يأكلك . . . لئن رجعنا إلي المدينة ليخرجن الأعز منها الأزل. . . وقد فضحه الله وفضح مقّالته.

وقد تبجحوا عندما نصحوا بعدم الإفساد في الأرض بنفاقهم وما يثمره النفاق من فاسد الأعمال. تبجحوا قائلين: إنما نحن مصلحون.

أي نريد ان نداري الفريقين من المؤمنين والكافرين. ونصطلح مع هؤلاء وهؤلاء. روي ابن إسحاق عن ابن عباس: ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا

إنما نحن مصلحون ﴾ أي إنما نريد الإصلاح بين الفريقين بين المؤمنين والكافرين وقد كذبهم الله في زعمهم هذا بقوله: **﴿ ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾** وأنّي لمثلهم أن ينتفع بقول الله تعالي. وقد أسلموا للشيطان قيادهم أعاذنا الله من ذلك.

* * *

ثم يقول تعالي **﴿ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألآ إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون * وإذا لقُوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلي شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون * الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾** (البقرة: ١٣ ـ ١٥).

فيذكر من صفات المنافقين السخرية من المؤمنين والهزء بهم، استجابة لنوازع الشر الكامن في نفوسهم، فالمسلمون يدعونهم إلي الخير وإلي الإيمان الكامل بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وما في دعوتهم إلي ذلك من إيذاء لهم ، إنهم يدعونهم إلي الإيمان بما آمن به الناس ـ محمد ﷺ وحزبه ـ حبألهم. وحرصا علي ما ينفعهم ،ولكنهم لا يستجيبون ولا يعتذرون في أدب. وإنما يسفهون في الإجابةَ قائلين **﴿ آنؤمن كما آمن السفهاء ﴾** ويعنون بذلك حضرة المصطفي ﷺ والمؤمنين معه.

وقد رد الله عليهم أبلغ الرد بتأكيد سفاهتهم وحصرها فيهم فلا تتعداهم إلي المؤمنين. فقال عز من قائل **﴿ ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ﴾** وزادهم تقبيحاً بجهلهم بحالهم وهذا ما يسمي بالجهل المركب.

ذلك أن السفيه هو الجاهل الضعيف الرأي القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار.

ومن صفات المنافقين كذلك بل من أبرزها ظهورهم بوجهين **﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلي شيطانهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون﴾** قال ابن مسعود : المراد بشياطينهم رؤساءهم في الكفر من اليهود الذين يأمرونهم بتكذيب رسول الله ﷺ وقال مجاهد: شياطينهم أصحابهم من المنافقين والمشركين ولا تعارض بين الرأيين فالكفر يجمع هؤلاء جميعا اليهود والمنافقين والمشركين.

وقد عاقبهم الله علي استهزائهم بالمؤمنين وسخريتهم منهم. بعقاب من جنس عملهم. قال سبحانه: ﴿ **الله يستهزي بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون**﴾ فكان الجزاء من جنس العمل قال ابن جرير الطبري في تفسيره الكبير: أخبر تعالي أنه فاعل بهم ذلك يوم القيامة في قوله تعالي: ﴿ **يوم يقول المنافقون والمنافقاتُ للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيلِ ارجعوا ورآءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنهُ فيه الرحمةُ وظاهرهُ من قبله العذاب**﴾ (الحديد: ١٣)

وقال تعال تعالي: ﴿ **ولا يحسبنَّ الذين كفروا أنما نُملي لهم خيرٌ لأنفسهم إنما نُملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين** ﴾ (آل عمران: ١٧٨).

فهذا وأمثاله من استهزاء الله وسخريته بالمنافقين وأهل الشرك فالاستهزاء من المنافقين غير الاستهزاء من الله؟. وإن اتفق اللفظان فالاستهزاء من الله بهم عقوبتهم علي استهزائهم عقوبة تجمع بين الاستدراج. والإيلام النفسي والجسمي.

هذا والعمه: عمي القلوب. فهم وإن صحت لهم أبصارهم فقد عميت منهم بصائرهم. فلا يشعرون بقبح ما هم عليه. ولذا فهم سائرون في غيهم وضلالهم حتي يلاقوا مصيرهم. أعاذنا الله من ذلك.

* * *

ثم يقول تعالي: ﴿ **أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدي فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين * مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلمآ أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون * صم بكم عمي فهم لا يرجعون** ﴾ (البقرة: ١٦-١٨).

ولا يزال الحديث موصولا عن النفاق والمنافقين. تعرية لهم وفضحاً لحالهم. وكشفا لقبائحهم. حتي لا ينخدع بهم المسلم.

وحتي يحذر المجتمع منهم. ومن كيدهم له. فهم عدو متمكن. يعيشون بين المسلمين ويطلعون علي أسرارهم ويكيدون لهم.

وفي هذه الآيات يصف الله عز وجل المنافقين بأنهم اشتروا الضلالة بالهدي. وما الضلالة هنا إلا إضمار الكفر ـ الذي انطوت عليه قلوبهم اشتروا هذا الكفر بالهدي. الذي ذاقوا طرفاً من حلاوته بإيمانهم أولاً.

وكأن الآية تشير إلي نوع من المنافقين. وهم الذين آمنوا ثم كفروا قال تعالي واصفا لحال هذا النوع في آية أخري ﴿ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع علي قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾ (المنافقون: ٣).

ومن يصنع صنيع هؤلاء المنافقين من كفر بعد إيمان فتجارته تلك خاسرة. وصفقته هذه غير رابحه.

ولقد شبه الله صنيع هذا الفريق من المنافقين بمن استوقد نارا في ظلام الليل حتي أضاءت له ما حوله فلما أضاءت له ما حوله عمد إليها فأطفأها. فوجد نفسه في ظلام دامس. وسلب مع ذلك حواسه التي يهتدي بها فهو أصم لا يسمع أبكم لا يتكلم أعمي لا يبصر.

فسلب كل وسيله للاهتداء من الداخل والخارج فلا نور يضئ له، ولا بصر يتحسس به الطريق، ولا سمع يهتدي به، ولا صوت يدل به علي نفسه. أو يستدل به من غيره.

إنه قد انقطع عما حوله كله من صنوف الخير التي جاء بها الإسلام.

حينما رضي لنفسه أن ينطوي قلبه علي الكفر. ولا يعطي للإسلام إلا ظاهره ساخراً بذلك من المسلمين، فيما يعتقد. وهو إنما يخدع بذلك نفسه حيث يعرضها لغضب الرحمن وعقوبه الملك الديان وما أشدها من عقوبة فاقت عقوبة الكافرين المستعلنين بكفرهم.

قال تعالي: ﴿ إن المنافقين في الدّرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً ﴾ (النساء: ١٤٥)

. ثم يقول تعالي ﴿أو كصيّب من السمآء فيه ظلمات ورعدٌ وبرقٌ يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذرَ الموت والله محيط بالكافرين يكادُ البرقُ يخطفُ أبصارهم كلماَ أضآءَ لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولوشآء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله علي كل شيءٍ قدير ﴾ (البقرة: ١٩، ١٢٠).

وتري الحديث لا يزال موصولا عن النفاق والمنافقين، تعرية لهم، وفضحا لحالهم. وفي هذا المثل يصور تعالي حال المنافقين، ويرسم ما في نفوسهم من

اضطراب. وحيرة وقلق ومخافة.

وفي هذا المثال مشهد عجيب حافل بالحركة مشوب بالاضطراب فيه تيه وضلال وفيه هول ورعب وفيه فزع وحيرة وفيه أضواء وأصداء. مطر من السماء هاطل غزير.

﴿ فيه ظلمات ورعد وبرق ﴾ ﴿ كلما أضاء لهم مشو فيه وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ أي وقفوا حائرين لا يدرون أين يذهبون. وهم مفزعون ﴿ يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق جذر الموت ﴾ ذلك شأن المنافقين فهم لتناقض ظواهرهم مع بواطنهم حيث يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، في خوف دائم واضطراب ملازم ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو ﴾ (المنافقون :٤) ﴿ ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون * لو يجدون ملجأ أو مغاراتٍ أو مدخلاً لو لّوا إليه وهم يجمحون﴾ (التوبة:٥٦، ٥٧) .

ألا ما أتعس المنافق. ينقسم علي نفسه بين ظاهر مؤمن وباطن ملحد، ويريد أن يؤدي لكل منهما حقه، وأن يجمعهما في شخصه وشأنهما التفرق أبداً وعدم الاجتماع، فهما ضدان لا يجتمعان.

ولكن المنافق جمع بين الضدين. فهو من هذا الجمع في عذاب وأي عذاب.

أخرج ابن أبي حاتم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: « هذا مثل ضربه الله للمنافقين كانوا يعتزون بالإسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفئ فلما ماتوا سلبهم الله العز » .

أخي المسلم تلك أمثلة قرآنية يصور بها تعالي حال المنافقين الخفية في الجمع بين عز الإسلام في الدنيا وذل النفاق في الآخرة بحال محسوبة فيها الجمع بين الضوء والظلمة

ولا ظلمة في عين الرائي أشد من ظلمة بعد ضوء.

ولا ذلَّ أذَلَّ للمنافقين في الآخرة من ذل بعد عز الإسلام الذي استظلوا به في الدنيا وحاجتهم إليه في الآخرة أشد، فضيعوه أحوج ما يكونون إليه. كما فقد صاحب الضوء ضوءه أحوج ما يكون إليه .

* * *

(دعوة الله للناس جميعاً لعبادة الله وحده)

﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسمآء بنآءً وأنزل من السماء مآءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ (البقرة : ٢١، ٢٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه.

وبعد :

فبعد أن فصل لنا تعالي صفات كل من المؤمنين والكافرين والمنافقين، وأطال الحديث في تفصيل حال المنافقين، بعد ذلك وجه الخطاب لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم داعياً لهم جميعاً إلي عبادة الله وحده وإفراده بالعبادة وعدم الشرك به.

وبين لخلقه أنه تعالي المستحق للعبادة وحده، حيث خلق الناس ابتداء من العدم، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة.

فهو خلقهم وخلق لهم ما تصلح به حياتهم، من أرض يسكنونها، وسماء يستظلون بها، وماء وزرع وحيوان رزقا لهم، ولا سبيل لأحد لكي يصنع لنفسه شيئاً من ذلك.

من يستطيع أن يهب نفسه الحياة، أم من يستطيع أن يحفظ علي نفسه الحياة بعد إذ وهبها الله له، أم من يستطيع أن يطعم نفسه، لا مخلوق يستطيع ذلك أبداً، فالكل محتاج إلي الله تعالي.

بدءا ونهاية وما بين البدء والنهاية.

قال تعالي: ﴿ يا أيّها النّاسُ أنتمُ الفقراءُ إلي الله والله هو الغنيُ الحميدُ﴾ (فاطر: ١٥).

ويقول تعالي: ﴿ أفرأيتم ما تمنون * أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾ (الواقعة: ٥٨، ٥٩).

كما يقول تعالي: ﴿ أفرأيتم ما تحرثون * أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾ (الواقعة: ٦٣، ٦٤).

ويقول تعالي ﴿ أفرأيتم المآء الذي تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون * لو نشآء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون﴾ (الواقعة: ٦٨ـ ٧٠).

أخي أيها المسلم إن حياتك علي ظهر هذا الكوكب نعمة إلهية عظمي ومنن الله عليك في هذا الحياة لا حصر لها.

فلو حدث أدني تغيير فيك أو فيما يحيط بك من أساسيات حياتك لاختل توازنك وفقدت حياتك.

فلو نقص عنصر واحد من عناصر هذا الكوكب ما قامت الحياة ولو نقص عنصر واحد من عناصر الهواء عن قدره المرسوم لشق علي الناس أن يلتقطوا أنفاسهم حتي لو قدرت لهم الحياة والسماء لها صلة كذلك بحياتك علي ظهر الأرض فهي بحرارتها وضوئها وجاذبية أجرامها وتناسقها وسائر النسب بين الأرض وبينها تمهد لقيام الحياة علي الأرض وتعين عليها، فلذلك ذكرت في معرض تذكير الناس بقدرة الخالق.

ومن كان هذا شأنه وجب أن يعبد وحده وقبح أن يشرك معه في العبادة غيره ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلقُ أفلا تذكرون﴾ (النحل: ١٧)

عن ابن مسعود قال: قلت يارسول الله أي الذنب أعظم عند الله. قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك والله أعلم.

* * *

الكلمات التي قيلت لآدم عليه السلام في قوله تعالي: ﴿ فتلقي آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ (البقرة/ ٣٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه.

وبعـــد:

فإن الكلمات التي قيلت لآدم حين أنزل إلي الأرض والتي أخبر القرآن بها في قوله تعالي: ﴿ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلي حين * فتلقي آدم من ربه كلمات فتاب

عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ (البقرة: ٣٦/ ٣٧)

هذه الكلمات قال ابن كثير في تفسيرة إنها مفسرة بقوله تعالي: ﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ (الأعراف: ٢٣).

هذا وطلب من أبينا آدم أن يتبع ما أنزل عليه من هدي السماء.

والمحقق أن أبانا آدم عليه وعلي نبينا الصلاة والسلام أول النبيين والمرسلين كما أن سيدنا محمد ﷺ خاتم النبيين والمرسلين.

والذي يدل علي أن أبانا آدم إنما طلب منه ما شرعه الله له وأوحاه إليه قوله تعالي ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدي فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (البقرة: ٣٨).

ورسالة السماء إلي الأرض من آدم أول النبيين والمرسلين إلي سيدنا محمد ﷺ هي الإسلام. قال تعالي: ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ (آل عمران /١٩) كما قال تعالي: ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهوفي الأخرة من الخاسرين ﴾ (آل عمران: ٨٥).

والإسلام هو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتي ختموا بمحمد ﷺ الذي سد جميع الطرق إليه تعالي إلا من جهه سيدنا محمد ﷺ ورسالات السماء كلها تشترك في أصول الدين وتختلف في فروعه لاختلاف الأزمنه والأمكنة مراعاة لمصالح الناس.

فالذي طلب من أبينا آدم. هو ما شرعه الله له ولبنيه وأوحاه إليه وهو الإسلام الذي ارتضاه الله دينا.

وهو يتفق مع ما أوحي إلي نبينا ﷺ في الأصول من الإيمان بوجود الله ووحدانيته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره.

هذا والله الموفق والهادي إلي سواء السبيل.

الكلمات التي تلقاها آدم من ربه ؟ وهل هناك سر في هذه الكلمات ؟ وهل هناك حكمة من ذلك ؟ وما سبب النزول لتلك الكلمات ؟ . وإذا كان الله لم ينزل علي آدم تلك الكلمات . فكأنه لم يتب عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعل آله وصحبه ومن والاه وبعد :

فالراجح أن هذه الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه هي قوله تعالي ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ (الاعراف: ٢٣) وقد روي هذا عن جمع من أئمة التفسير، منهم مجاهد وسعيد بن جبير.

وروي عن ابن عباس في تفسيرها أنه قال: قال آدم عليه السلام يارب ألم تخلقني بيدك؟ قيل له : بلي. ونفخت فيّ من روحك؟ قيل له :بلي وعطستُ. فقلت: يرحمك الله وسبقت رحمتك غضبك؟ قيل له: بلي. وكتبت عليّ أن أعمل هذا؟ قيل له: بلي قال: أرأيت إن تبت هل أنت راجعي إلي الجنة؟. قال: نعم.

رواه الحاكم مستدركه. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

والسر في هذه الكلمات أن التوبة من الذنب كفارة للذنب. وقد تاب أبونا آدم مما وقع فيه هو وأمنا حواء، وصدقا في توبتهما فتقبل الله توبتهما .

وفي هذه القصة حث لكل مذنب علي المسارعة إلي التوبة ليغفر الله له. والتوبة الكاملة يغفر الله بها الذنب. بل ويبدل الله بالتوبة الكاملة السيئة حسنة، من فضله وكرمه سبحانة وتعالي قال تعالي مشيراً إلي ذلك: ﴿ فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ (الفرقان : ٧٠) .

والحكمة في وقوع صورة المعصية لأبينا آدم وتوبته وقبول الله سبحانه وتعالي توبته، لأن الله عز وجل يحب أن تظهر آثار أسمائه فهو الغفور، ولا مغفره إلا عن ذنب. قال ﷺ: « والذي نفس محمد بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم».

وأقول :إن ما وقع من أبينا إنما هو صورة المعصية فحسب. لأن أبانا آدم نبي

ورسول كريم. والأنبياء معصومون من الذنوب. فهو وإن أكل من الشجرة التي نهي عن الأكل منها ظاهرا فقد أطاع باطناً.

هذا وقد أنزل الله عليه هذه الكلمات ليعلمه ويعلم بنيه طريق الرجوع إليه بالتوبة، والله يحب أن يستغفره عبيده، ومن هنا كان الحبيب ﷺ يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم مائة مرة . والله أعلم .

* * *

يقول تعالي: ﴿ **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين**﴾ (البقرة: ٦٥) هل هذه الآية لها علاقة بالنظرية الخاصة بعملية التشريح التي تقول بأن الإنسان له قرابه بأسلافه القرده؟

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن ولاه:

وبعد:

فلا صلة مطلقا بين هذه الآيه الكريمة وبين هذه النظرية. إن هذه النظرية فيما أفهم هي التي تعرف بين الناس باسم نظرية دارون، وهي قائمة علي أن الإنسان عبارة عن قرد متطور، أي أن الإنسان من سلالة القرود، والإسلام ينكر هذه النظرية، فالقرد حيوان غير عاقل خلق قرداً وينسل قرودا إلي يوم القيامة ولو كان الأمر كما زعموا لم يوجد قرد الآن لتطور الجميع إلي أناس.

وهذا باطل بالمشاهدة. والمسلمون يؤمنون بما جاء في القرآن عن أصل الإنسان فالقرآن عَرَّفنا بأننا من أولاد آدم عليه السلام، وآدم نبي مرسل لبنيه، خلقه الله بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملآئكته، وليس بعد هذا لآدم وبنيه تكريم قال تعالي: ﴿ **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾ (الاعراف: ٣١) فنحن بشهادة القرآن بنو آدم.

وقال تعالي: ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء** ﴾ (النساء: ١١) والنفس الواحدة هي نفس آدم.

وقال تعالي: ﴿ **وإذ قال ربك للملائكه إني خالق بشرا من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكه كلهم أجمعون * إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين** ﴾ (ص٧١- ٧٤) وأما الآية التي هي موضوع السؤال.

وهي قوله تعالي ﴿ **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾ . فإنها تتحدث عن موضوع آخر، ذلك الموضوع هو اعتداء فريق من بني إسرائيل علي أوامر الله وعصيانهم لها، وعقاب الله لهم بمسخهم قردة وخنازير قال تعالي: ﴿ **قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت**﴾ (المائدة: ٦٠).

قال ابن عباس رضي الله عنهما. إن الله افترض علي بني إسرائيل اليوم الذي افترض عليكم يوم الجمعة، فخالفوا إلي السبت فعظموه، وتركوا ما أمروا به، فلما أبوا إلا لزوم السبت ابتلاهم الله فيه فحرم عليهم ما أحل لهم في غيره، وكانوا في قريه بين أيلة والطور يقال لها مدين، وقيل هي أيلة المسماه الأن بميناء إيلات، فحرم الله عليهم في السبت الحيتان صيدها وأكلها، وكانوا إذا كان يوم السبت أقبلت إليهم شرعاً - أي ظاهره - إلي ساحل بحرهم، حتي إذا ذهب السبت ذهبن فلم يروا حوتاً صغيرا ولا كبيرا، فكانوا كذلك حتي طال عليهم الأمد، واشتد شوقهم إلي أكل السمك فعمد رجل منهم فأخذ حوتا سرا يوم السبت فحزمه بخيط ثم أرسله في الماء، وأوتد له وتدا بالساحل فأوثقه ثم تركه، حتي إذا كان الغد جاء فأخذه فانطلق به فأكله، حتي إذا كان يوم السبت الآخر عاد لمثل ذلك. ووجد الناس ريح الحيتان فقال أهل القرية: والله لقد وجدنا ريح الحيتان، ثم عثروا علي صنيع ذلك الرجل، ففعلوا كما فعل، وصنعوا ذلك سرا زمانا طويلا.

ولم يعجل الله لهم العقوبة. حتي صادوها علانية وباعوها في الأسواق، فقالت طائفة منهم من أهل الصلاح: ويحكم اتقوا الله. ونهوهم عما كانوا يصنعون. فقالت طائفة أخري لم تأكل الحيتان ولم تنه القوم عما صنعوا: ﴿ **لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذره إلي ربكم ولعلهم يتقون** ﴾ (الاعراف: ١٦٤) قال ابن عباس فبينما هم كذلك أصبحت تلك البقية في أنديتهم ومساجدهم. ولم يجئ من اعتدي في السبت فبحثوا عنهم فوجدوهم في بيوتهم قد مسخوا قردة وخنازير، ولم

يعش مَسْخُ قط فوق ثلاثة أيام، ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل. والله أعلم.

* * *

تكذيب الله لبني اسرائيل في دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم دون غيره

يقول تعالي ﴿ وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا م آتيناكم بقوه واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين ﴾ ؟(البقرة: ٩٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فهذه الآية الكريمة سبقتها آية شديدة الأرتباط بها. هي قوله تعالي﴿ **ولقد جاءكم موسي بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون**﴾ (البقرة: ٩٢) وفى هذه الآية المتقدمة ردٌ علي بني إسرائيل في دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم دون غيره. وفي هذه الآية تكذيب لهم في دعواهم هذه فهم قد عبدوا العجل في حياة سيدنا موسي عليه وعلي نبينا الصلاة والسلام وهم لم يقبلوا التوارة إلا بعد تخويف وإزعاج ورفع الطور فوقهم. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سار بهم موسي عليه السلام إلي الأرض المقدسة وأخذ الألواح بعد ما سكت عنه الغضب وأمرهم بالذي أمره الله أن يبلغهم إياه من العبادات فثقلت عليهم وأبوا أن يقروا بها، حتي رفع الله الجبل فوقهم كأنه ظلة، رفعته الملائكة فوق رءوسهم. رواه النسائي. وزاد سنيد بن داود في تفسيره عن حجاج بن محمد عن أبي بكر بن عبد الله حتي إذا كان بين رءوسهم وبين السماء قال لهم موسي: ألا ترون ما يقول ربي عز وجل. لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لأرمينكم بهذا الجبل. قال: فحدثني الحسن البصري قال: لما نظروا إلي الجبل خر كل رجل ساجدا علي حاجبه الأيسر ونظر بعينه اليمني إلي الجبل فرقا من أن يسقط عليه، وقبلوا التوراة وقالوا: سمعنا. ولم يقولوا : عصينا.

فإنهم لو قالوا: ذلك آنئذ لما كانوا آخذين لما آتاهم من التوراة بقوة. لقد قالوا بأفواههم سمعنا. وقالوا بأعمالهم: عصينا وهذا التصوير الحي للواقع يوميء إلي مبدأ

من مبادئ الإسلام. هو أنه لا قيمة لقول بلا عمل.

وقوله تعالي: ﴿ **وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم** ﴾ قال قتادة: أشربوا حبه حتي خلص ذلك إلي قلوبهم. وهو تعبير بليغ عن مزيد حبهم للعجل الذي صنعه لهم السامري من الذهب الذي استعاره من أقباط مصر حين خرجوا من مصر قال تعالي ﴿**فأخرج لهم عجلاً جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسي فنسي**﴾ (طه:٨٨) وقد قذف في العجل الذي صنعه من الذهب قبضة من موطئ فرس سيدنا جبريل. فحلت بالعجل الحياة.

قال تعالي مشيراً إلي ذلك: ﴿ **فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها**﴾ (طه:٩٦) وقوله: ﴿ **فنبذتها** ﴾ أي ألقيتها في العجل الذي صنعه من الذهب.

ثم كرر الله توبيخهم علي دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم دون ما أنزل علي غيرهم. بعد أن ذكر عصيانهم، بعد أن أخذ الله عليهم الميثاق بطاعته وعبادتهم العجل، بعد إذ نجاهم الله من فرعون والله أعلم.

* * *

عداوة الله للكافرين الذين يعادون الله وملائكتة ورسله

ما تفسير قوله تعالي ﴿ **قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله علي قلبك بإذنه الله مصدقا لما بين يديه وهدي وبشري للمؤمنين * من كان عدو الله وملائكتة ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين** ﴾ (البقرة :٩٧، ٩٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والاسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آه وصحبه ومن والاه.

وبعد

خلق الله عز وجل الملائكة أجساما نورانية لطيفة قادرة علي التشكل بالأشكال الحسنة ولا تحكم عليهم الصورة ﴿ **يسبحون الليل والنهار لا يفترون. لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾

وهم كثيرون مسكن غالبهم السماء، ومنهم من يسكن الأرض وهم عنصر الخير

المحض في هذا الوجود. والشياطين هم عنصر الشر المحض. وبين الملائكة والشياطين خلق الله الثقلين الإنس والجن، منهم الطائع والعاصي والمؤمن والكافر.

وجبرائيل عليه السلام أمين الوحي هو سيد الملائكة. وكان اليهود يبغضونه روي الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس قال:

أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء فإن أنبأ تنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك.

فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل علي بنيه. إذ قالوا: الله علي ما نقول وكيل.

قال: هاتوا. قالوا: أخبرنا عن علامة النبي؟ قال: « تنام عينيه ولاينام قلبه» قالوا أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر؟

قال: «يلتقي الما آن. فإن علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت، وإن علا ماء المرأة ماء الرجل أنثت».

قالوا : اخبرنا ما حرم إسرائيل علي نفسه؟ قال : « كان يشتكي عرق النساء فلم يجد شيئا يلائمه إلا ألبان الإبل. فحرم لحومها» قالوا. صدقت قالوا: أخبرنا ما هذا الرعد؟ قال: « ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب في يده مخراق من النار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمر الله».

قالوا فما هذا الصوت الذي يسمع؟ . قال: «صوته» قالوا: صدقت إنما بقيت واحدة. وهي التي نبايعك إن أخبرتنا بها.

فإنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبر.

فأخبرنا من صاحبك؟

قال ﷺ: « هو جبريل عليه السلام».

قالوا: جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا.

لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان.

فأنزل الله عز وجل هاتين الآيتين.

رواه أحمد واللفظ له. والترمذي . والنسائي.

ثم يقول تعالي: « من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين» وفي هذه الآيه والآيه التي قبلها. وهي قوله سبحانه «قل من كان عدوا لجبريل..... الآيه.

نطلع علي سمة من سمات اليهود عجيبة حقا، لقد بلغ الغيظ والحنق باليهود من أن ينزل الله من فضله علي من يشاء من عباده مبلغا تجاوز كل حد، وقادهم هذا إلي تناقض لا يستقيم في عقل.

إنهم يزعمون أن جبريل عدوٌهم لأنه ينزل بالهلاك والدمار، ولما كان جبريل عليه السلام هو الذي ينزل بالوحي علي رسولنا ﷺ، فهم لهذا لا يؤمنون بنبينا ﷺ، ولو كان الذي ينزل بالوحي هو ميكائيل لآمنوا به ﷺ، لأن ميكائيل ينزل بالخصب والرخاء.

وقولهم هذا حماقة بالغة فجبريل وميكائيل ينزلان بأمر الله، وينفذان مشيته، فعداوة جبريل لا محل لها.

وقد رد الله عليهم أبلغ الرد بتكفيرهم بسبب عداوتهم لملك من ملائكته، وجعل عداوتهم لملك من الملائكة بمثابة عداوتهم لله وملائكته جميعا ورسله ومن عادي الله وملائكته ورسله فقد كفر. والله عدو للكافرين.

والله أعلـــم.

* * *

نفي الله عزّ وجل عن سيدنا سليمان الكفر وبيان أن الشياطين هم الذين علموا الناس السحر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالي ﴿ وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ومآ أنزل علي الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ (البقرة: ١٠٢) .

هذا جزء آية من سورة البقرة. يحدثنا القرآن الكريم فيها وفي الآية التي قبلها وهي قوله تعالي ﴿ ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون * واتبعوا ما تتلوا الشياطين

علي ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا﴾.

يحدثنا القرآن في هاتين الآيتين. عن خلة من خلال اليهود هي نقضهم العهود والمواثيق، فقد أخذ الله عليهم الميثاق أن يؤمنوا بكل رسول يبعثه، وأن ينصروه، ولكنهم لم يوفوا بعهدهم، ونقضوا ميثاقهم لما جاءهم رسولنا ﷺ بالقرآن الكريم.

وفي الآية سخرية بالغة باليهود حيث نبذ الكتاب أهل الكتاب، وهم أولي الناس بتصديقة، نبذوا القرآن ونبذوا التوراة لما وجدوها موافقة للقرآن، نبذوهما وراء ظهورهم نبذوا التواة، وماذا بعد نبذهم للتوراة وهي كتابهم .

لقد ذهبوا يتبعون ما تقصه الشياطين عن عهد سليمان، وما يضلل به الشياطين الناس من دعاوي مكذوبة عن سليمان، إذ يقولون إنه كان ساحرا، وإنه سخر الإنس والجن والطير عن طريق السحر الذي كان يعلمه ويستخدمه.

وقد كذب الشياطين علي سليمان، فلقد نفي القرآن عن سليمان أنه كان ساحرا قال تعالي ﴿ **وما كفر سليمان** ﴾.

فكأنه يعد السحر واستخدامه كفرا ينفيه عن سليمان عليه السلام ويثبته للشياطين، ونجد ذلك في قوله تعالي ﴿ **ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر** ﴾. وكما نفي تعالي عن سليمان أنه كان ساحرا، فقد نفي كذلك كون السحر منزلاً من عند الله علي الملكين هاروت وماروت.

اللذين كان مقرهما بابل بقوله ﴿ **وما أنزل علي الملكين ببابل هاروت وماروت**﴾من تعليم الشياطين لهما السحر وقد جعلهما الله فتنة وابتلاء للناس لحكمة معينة. وهما من البشر وليس من الملائكة وكانا يقولان لمن يأتيهما ليتعلم منهما السحر ﴿**إنما نحن فتنة فلا تكفر** ﴾ .

وكان من أثر السحر الذي يعلمانه التفريق بين المرء وزوجه، غير أن القرآن الكريم يبادر فيذكرنا بأصل من أصول الإسلام، هو أنه لا يقع شئ في هذا الوجود إلا بإذن الله. فيقول تعالي ﴿ **وماهم بضآرين به من أحد إلا بإذن الله** ﴾. فبإذن الله تفعل الأسباب فعلها، وتنشأ أثارها وتحقق نتائجها.

وقد لا يأذن الله تعالي بذلك. فتتوقف الأسباب عن تأثيرها، بل قد يريد الله من

السبب نقيض فعله الأول، فالنار وهي سبب الإحراق والإهلاك قد يوظفها الله في البرد والسلام. قال تعالي ﴿ قلنا يا نارُ كوني برداً وسلاماً علي إبراهيم ﴾ (الأنبياء: ٦٩).

هذا وقد فصل القول في السحر الإمام أبو منصور الما تريدي. فقال: القول بأن السحر علي الإطلاق كفر خطأ، بل يجب البحث عن حقيقة السحر فإن كان فيه ما يخل بالإيمان فهو كفر. وإلا فلا.

وللسحر حقيقة عند أهل السنة. وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ سيحر حتي كان يخيل إليه أنه يأتي الشئ. ولا يأتيه.

سحره لبيد بن الأعصم اليهودي في مشط ومشاطة، فكان له تأثير في جسده كسائر الأمراض التي يجوز أن تصيبه ﷺ، والتي لا تتصل بقلبه أو عقله. فذلك القدر محفوظ حتي لا يتسرب خلل إلي الشريعة ولم يبرأ منه حتي أعلمه الله به. وبمكانه المدفون فيه، فبعث الإمام عليا ابن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه. مع بعض الصحابة. فاستخرجه وأتلفه .

وإلي أثر السحر وخطورته يشير قوله تعالي: ﴿ ومن شر النفاثات في العقد ﴾ (الفلق: ٤). والله أعلم

* * *

كتمان اليهود لصفات سيدنا رسول الله ﷺ الموجوده في كتبهم والتي تشهد له بالنبوة والرسالة.

وحكم الله علي اليهود بسبب ذلك بسبعة أحكام

﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلاً. أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم * أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدي والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم علي النار﴾ (البقرة: ١٧٤، ١٧٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

تتحدث هذه الآيات عن اليهود الذين كتموا صفة سيدنا رسول الله ﷺ. الموجودة

في كبتهم. التي بأيديهم والتي تشهد له بالنبوة والرسالة، وقد كتموا ذلك لئلا تذهب رياستهم وما كان يصلهم بسبب هذه الرياسة من مكاسب مادية، وقد عبر القرآن عن ذلك بقوله: ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلاً** ﴾ أي يشترون بكتمانهم صفة حضرة المصطفي ﷺ ﴿ **ثمنا قليلا** ﴾هو رياستهم، وما تجره هذه الرياسة من منافع مادية. هذه حال اليهود.

فماذا جرّتَه عليهم من أنواع البلاء؟.

لقد ذكرت الآيات بعد بيان حالهم تلك سبعة أحكام حكم الله بها عليهم بسبب ذلك:

الأول منها: أنهم لا يأكلون في بطونهم إلا النار، لأن ما أكلوه بسبب كتمان صفته ﷺ من الثمن القليل هو سبب دخولهم النار .

الثاني من الأحكام: أنهم لا يكلمهم الله يوم القيامة كلاماً يسرهم، وإنما يكلمهم بما يسوءهم . كقوله لهم ﴿ **اخسأوا فيها ولا تكلمون** ﴾ (المؤمنون:١٠٨)

الثالث من الأحكام: أنه تعالي لا يزكيهم بمعني أنه لا يطهرهم من دنس ذنوبهم.

الرابع: تَوَعَّدهم بالعذاب الأليم في قوله تعالي: ﴿ **ولهم عذاب أليم** ﴾.

الخامس والسادس: أنهم بكتمانهم صفة رسولنا ﷺ تنفيراً للناس عن متابعته طلبا للرياسة وما تجره من مغنم، قد اشتروا الضلالة. وهي عملهم هذا بالهدي الذي تركوه بكتمان صفته وعدم اتباعهم له. والعذاب بالمغفرة. ذلك أن من اشتري الضلاله بالهدي. فقد اشتري العذاب بالمغفرة.

والسابع: تَوعُّدُ الله لهم بنار شديد عذابُها. حتي ليتعجب من صبر أهلها علي عذابها. فيقول الرائي لهم فيها: ما أصبرهم علي النار.. والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي: ﴿ **وكلوا واشربوا حتي يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر** ﴾ (البقرة: ١٨٧).

والتوفيق بين هذه الآية وبين الإمساك عند إطلاق مدفع الإمساك؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن ولاه.

وبعـــــد:

فإن إطلاق مدفع الإمساك قبل الفجر بثلث ساعة تـقريبا، يقصد به التنبيه ليحتاط الإنسان، ولا يقصد به بدء الصوم حقيقة، فللصائم الأكل والشرب حتي قبل آذان الفجر مباشرة.

لأن معني هذه الآيـه إباحة جمـيع المفطرات ليلاً للصـائم إلي أن يتبين له ضـياء الصبـاح من سواد الليل، وهو لحظة بدء آذان الفجـر. وعبر المولي عز وجل عن ضـياء الصباح بالخيط الأبيض وعن سواد الليـل بالخيط الأسود. والذي يؤكد أن المراد بالخيطين هنا ضياء الصباح وسواد الليل. قوله تعالي بعدهما ﴿ من الفجر ﴾ روي الإمام البخاري بسنده عن سهل بن سعد قال: أنزلت ﴿ وكلوا واشربوا حتي يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ﴾ ولم ينزل ﴿من الفجر ﴾ وكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل حتي يتبين له رؤيتهما: فأنزل الله بعد ﴿ من الفجر﴾ فعلموا أنما يعني الليل والنهار.

وروي الإمام أحمد بسنده عن عـدي بن حاتم قال: لما نزلت هذه الآيه ﴿ وكلوا واشربوا حتي يتبين لكـم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ﴾ عمدت إلي عقالين أحدهما أسود والآخر أبيض قال: فجعلتهما تحت وسادتي.

قال: فـجعلت أنظر إليـهما. فلمـا تبين لي الأبيض من الأسود أمـسكت. فلما أصبحت غـدوت الي رسول الله ﷺ فأخبـرته بالذي صنعته. فـقال: «إن وسادك إذن لعريض » في رواية لـلبخاري. همـا بياض النهار وسـواد الليل. إذ يقتـضي ذلك كون وساده بعرض الشرق والغرب وليس في الحديث إشارة إلى بلادة ذلكم الصحابي الجليل رضوان الله عليه كما قيل. والله أعلـم.

جواز الأكل والشرب والجماع للصائم ليلاً حتي مطلع الفجر

بعد تحريم ذلك عليه إذا نام قبل الفجر

﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلي نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتي يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلي الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ﴾ (البقرة : ١٨٧).

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه.

وبعد :

روي الإمام أحمد في مسنده وأبو داود والحاكم عن معاذ بن جبل قال: كانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء مالم يناموا، فإذا ناموا امتنعوا. ثم إن رجلا من الأنصار يقال له: قيس بن حرمة. صلي العشاء ثم نام. فلم يأكل ولم يشرب حتي أصبح. فأصبح مجهودا. وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام. فأتي النبيﷺ فذكر ذلك له فأنزل الله هذه الآية .

وروي البخاري عن البراء قال: كان أصحاب النبي ﷺ إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار. فنام قبل أن يفطر، لم يأكل ليلته ولا يومه حتي يمسي، وإن قيس بن حرمة الأنصاري كان صائماً، فلما حضر الإفطار أتي امرأته. فقال: هل عندك طعام؟ فقالت: لا. ولكني أنطلق فأطلب لك. وكان يومه يعمل فغلبته عينه. وجاءته امرأته فلما رأته قالت: خيبة لك. فلما انتصف النهار غشي عليه. فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية. ففرحوا بها فرحا شديداً.

والله أعلم

* * *

اختلاف المفسرين في تفسير قوله تعالي ﴿هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلي الله ترجع الأمور ﴾ (البقرة: ٢١٠) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه.

وبعد :

فقد أختلف السادة المفسرين في فهم هذه الآية ، غير أن اختلافهم لا تعارض فيه، فيمكن أن يكون كل ما قالوه في تفسير هذه الآيه حق، حيث تكلم كل منهم عن بعض الحق أو زاوية منه.

فالإمام البيضاوي يقول: هل ينتظر الكافرون إلا أن يأتيهم أمر الله أي بأسه وعذابه. كقوله تعالي في آيه أخري ﴿ أو يأتي أمر ربك ﴾ (النحل: ٣٣) أو التقدير هل ينتظرون إلا أن يأتيهم الله ببأسه. فالآتي علي كلا الرأيين: بأس الله أي عذابه، والغمام السحاب الأبيض. وإنما يأتيهم عذاب الله فيه لأنه مظنة الرحمة، فإذا جاء العذاب منه كان أفظع، لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أصعب. وذكر الملائكة هنا لأنهم الواسطة في إتيان أمر الله، أو الآتون علي الحقيقة ببأس الله .

هذه خلاصة رأي الإمام البيضاوي. وللإمام ابن كثير. في تفسير الآية رأي آخر. يرويه عن الإمام ابن جرير الطبري عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ وفيه أن الناس إذا اهتموا لموقفهم في العرصات تشفعوا إلي ربهم بالأنبياء واحدا واحدا، من آدم فمن بعده، فكلهم يحيد عنها، حتي ينتهوا إلي محمد ﷺ .فإذا جاءوا إليه قال: أنا لها أنا لها. فيذهب فيسجد تحت العرش ويشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء بين العباد فيشفعه الله، ويأتي في ظلل من الغمام بعد ما تنشق السماء الدنيا، وينزل من فيها من الملائكة ثم الثانية ثم الثالثة إلي السابعة، وينزل حملة العرش والكروبيون، والملائكة لهم زجل من تسبيحهم يقولون: « سبحان ذي الملك والملكوت. سبحان ذي العزة والجبروت سبحان الحي الذي لا يموت. سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت»صدق رسول الله ﷺ

وهذا الحديث رواه غير واحد من أصحاب المسانيد وغيرهم. فهو حديث مقبول. وإتيان الله في ظلل من الغمام ليس كإتيان خلقه، وأنما هو إتيان يليق بذاته يعجز عن إدراك حقيقته. قال تعالي ﴿ ليس كمثله شئ ﴾ (الشوري: ١١).

والآية علي كلا الرأيين تتحدث عن مشهد من مشاهد القيامة التي اقتربت والناس عن الاستعداد لها غافلون .

والله أعلم ..

* * *

[الحديث عن مرحلة من مراحل تحريم الخمر]

قال تعالي : ﴿ **يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبيرٌ ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما** ﴾ (البقرة : ٢١٩) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه. وبعد :

فإن منافع الخمر في الاتجار بها ، وما يصل إليه شاربها من اللذة. ومنفعة الميسر ما يحصل عليه صاحبة من الكسب الحرام. وكان إثمهما أكبر من نفعهما، لأنهم كانوا إذا شربوا سكروا ،وإذا سكروا اقتتلوا، فهما يحصلون عليه من اللذة المؤقتة. تعقبه الندامة والحسرة.

وما يحصل عليه أحدهم من كسب من الميسر يخسر أضعافه من حيث لا يشعر ، فهو يخسر وقته ودينه ومودة إخوانه الذين يقامرهم. واستعمال تلك المنافع قد حرم مع تحريم شرب الخمر.

وهذه الآية تعبر عن مرحلة من مراحل تحريم الخمر فقط، وأما المرحلة النهائية فهي التحريم الكامل، فقد حرم الله الخمر علي التدريج رفقا بشاربها. وأول آية نزلت في الإشارة إلي تحريم الخمر هي قوله تعالي ﴿ **ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا** ﴾ (النحل : ٦٧) فلما نزلت قال رسول الله ﷺ :« إن ربكم ليقدم في تحريم الخمر». وقال سيدنا عمر: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا.

فإنها تذهب بالمال والعقل. فنزل قوله تعالي ﴿ **يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما** ﴾ (البقرة:٢١٩) فدعي عمر فقرئت عليه. فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا. فنزل قوله تعالي ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكاري حتي تعلموا ما تقولون** ﴾ (النساء: ٤٣) فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقام الصلاة نادي: أن لا يقربن الصلاة سكران .

فدعي عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزل قوله تعالي: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل**

الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ (المائدة: ٩٠، ٩١).

فدعي عمر فقرئت عليه. فلما بلغ ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ قال عمر انتهينا انتهينا رواه الترمذي وأحمد وأبو داود .

هذا والخمر تشمل كل مسكر. روي مسلم عن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كل مسكر خمر وكل خمر حرام ». وقال ﷺ : « ما أسكر كثيرة فقليله حرام».

ولا عبرة باختلاف المسميات، فالبيرة مثلاً حرام وإن لم تسم خمراً، لأن كثيرها يسكر من لم يعتد شربها. هذا وبالله التوفيق. والله أعلم .

* * *

تفسير أية الكرسي وبيان فضلها

بسم الله الرحمن الرحيم

لآية الكرسي فضائل كثيرة، فهي أفضل آية في كتاب الله تعالي، روي الإمام أحمد بسنده عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ سأله: أي آية في كتاب الله أعظم؟» قال: الله ورسوله أعلم. فرددها مراراً. ثم قال أُبَيٌّ: آية الكرسي.

فقال ﷺ: « ليهنك العلم أبا المنذر»

ومن فضائلها أنها حرز لنا من الجن، والجن يعايشوننا ويساكنوننا، ولهم نصيب من طعامنا وشرابنا الذي لا نذكر اسم الله عليه. عن عبد الله بن أبي بن كعب أن أباه أخبره أنه كان له جرن فيه تمر. قال: فكان أبي يتعاهده. فوجده ينقص. قال: فحرسه ذات ليلة. فإذا هو بدابة تشبه الغلام المحتلم. قال فَسَلَّمْتُ عليه فرد علَّي السلام فقلت: ما أنت. جني أم إنسيٌّ؟ قال: جني. قال: قلت: ناولني يدل قال: فناولني يده. فإذا يد كلب وشعر كلب. فقلت: هكذا خلق الجن؟

قال: لقد علمت الجن ما فيهم أشد مني. قلت: فما حملك علي ما صنعت؟ قال بلغني أنك رجل تحب الصدقة. فأحببنا أن نصيب من طعامك. قال: فقال له أبي:

فما الذي يجيرنا منكم؟ قال: هذه الآية. آية الكرسي. فغدا أبي بن كعب إلي رسول الله ﷺ فأخبره. فقال النبي ﷺ «صدق الخبيث» رواه الحاكم في مستدركة والحافظ أبو يعلي.

وفي حديث البخاري الطويل عن أبي هريرة ما يشبه ذلك. ففيه أنه كان يحرس زكاه رمضان فأتاه أت فجعل يحثو من الطعام. فأخذه أبو هريره ليرفعه إلي رسول الله ﷺ. فاعتذر له بعذر. فتركه علي ألا يعود. وفي الصباح سأله المصطفي ﷺ عما فعل أسيره البارحة، فذكر له ما دار بينهما. فأخبره ﷺ أنه قد كذبه وسيعود. فعل ذلك معه ثلاث ليال. وفي الثالثة قال له: دعني أُعَلِّمْكَ كلمات ينفعك الله بهن. قال: ما هي. قال: إذا أويت إلي فراشك فاقرأ آية الكرسي. فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك الشيطان أبدا حتي تصبح. فأخبر بذلك المصطفي ﷺ. فقال له الرسول ﷺ: « أما إنه قد صدقك وهو كذوب. تدري من تخاطب منذ ثلاث يا أبا هر إنه الشيطان» . هذا قليل من كثير مما جاء في فضل هذه الآية.

وأما تفسيرها بإيجاز: فيعلمنا تعالي بأنه لا معبود بحق إلا الله، فهو الواحد الأحد الفرد الصمد. وهو الحي بذاته، الذي لا يلحقه فناء أبدا. والقائم بأسباب مخلوقاته. فالمخلوقات محتاجة إلي الله تعالي في وجودها، فهو الذي أوجدها من العدم.

وهي محتاجة إليه تعالي كذلك في استمرار وجودها. فلا بقاء لها إلا بإبقائه لها. قال تعالي ﴿ **إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا** ﴾ (فاطر: ٤١) كما قال تعالي ﴿ **ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره**﴾ (الروم:٢٥).

ومن كمالاته تعالي التي لا تتناهي. وهي من لوازم قيوميته أنه لا تأخذه سنة ولا نوم. والسنة النعاس، وهو النوم الخفيف. فلا يعتريه تعالي النوم بأشكاله وألوانه، وكل ما في السموات والأرض ملك له، وتحت قهره وسلطانه. فهو الخالق المالك لما خلق ولمن خلق، وملك غيره ممن خلق لبعض خلقة ملك صوري لا حقيقة له ولا بقاء. ومن هنا يقول تعالي بعد النفخة الثانية. نفخة الصعق ﴿ **لمن الملك اليوم** ﴾؟. ولما لم يكن هناك مجيب لفناء الخلائق جميعها. فإن المولي يجيب بقوله. ﴿ **لله الواحد القهار**﴾(غافر:١٦)..

ثم تشير الآية إلي أن من كمال عظمته ألا يشفع بين يديه شافع إلا بإذنه.

هذا سيد الخلائق، وصاحب الشفاعة العظمي، يقول في حديث الشفاعة أنا لها. ثم يخر ساجداً تحت العرش. فيدعني الله ما شاء أن يدعني. ثم يقال: ارفع رأسك. وقل تُسْمع واشفع تُشَفَّع» .

ويذكر تعالي بعد ذلك من كمال علمه، وإحاطت جميع الكائنات، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وأنه لا سبيل لأحد للاطلاع علي شئ من علم الله إلا إذا أعلمه الله به قوله سبحانه ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء ﴾ ثم تحدثنا الآية عن سعة كرسيه سبحانه وعظمة ذلك الكرسي. فيقول سبحانه ﴿وسع كرسيه السموات والأرض ﴾ .

روي أبو بكر بن برد ويه عن أبي ذر الغفاري أنه سأل رسول الله ﷺ عن الكرسي. فقال رسول الله ﷺ: « والذي نفسي بيده ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة. وإن فضل العرش علي الكرسي كفضل الفلاة علي تلك الحلقة .

ثم تختم الآية بالإشارة إلي كمال قدرته، فلا يثقل عليه سبحانه حفظ السموات، والأرض ومن فيهما ومن بينهما، بل ذلك سهل عليه يسير، وهو القائم علي كل نفس بما كسبت، الرقيب علي جميع الأشياء. قال تعالي مشيرا إلي ذلك .

﴿ ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾ . والله أعلم .

* * *

الحث علي الإنفاق من طيب الكسب

تفسير قوله تعالي ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه والله غني حميد ﴾ (البقرة: ٢٦٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه.

وبعد :

جاء الإسلام ليأخذ بيد الإنسانية العاتية وبيد الجن كذلك إلي خيري الدنيا والآخرة.

ومما جاء به الإسلام مما يأخذ بيد الثقلين إلي خيري الدنيا والآخرة، مواساة الأغنياء للفقراء، والعطف عليهم ولذلك صور متعددة:

بعضها واجب كالزكاة، وبعضها مسنون كالصدقة غير المفروضة، وكتقديم الطيب من الأموال للفقراء .

وكانت النفوس في صدر الإسلام أشبه بالمريض يدخل المستشفي وبه الكثير من العلل والأدواء .

فلايزال الإسلام يعالج علله وأدواءه واحدة بعد الأخري حتي يعود صحيحا معافي.

ومن هذه العلل الشح المركوز في الفطر. وإليه أشار تعالي بقوله ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ (الحشر :٩) وكان ذلك الشح يدفع بعضهم إلي تقديم ما يكرهه من المال في صدقته فنهاهم الله عن ذلك .

روي الحاكم والترمذي وابن ماجه وغيرهم عن البراء قال :

نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار. كنا أصحاب نخل وكان الرجل يأتي من نخله علي قدر كثرته وقلته. وكان ناس ممن لا يرغب في الخير. يأتي بالقنو فيه الصيص والحشف. وبالقنو قد انكسر فيعلقه. فأنزل الله هذه الآية.

وروي أبو داود والنسائي والحاكم عن سهل بن حنيف قال :

كان الناس يتيممون شر ثمارهم يخرجونها في الصدقة. فنزلت .

وروي الحاكم عن جابر قال: أمر النبي ﷺ بزكاة الفطر بصاع من تمر فجاء رجل بتمر ردئ فنزلت.

وروي ابن جرير بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية في الأنصار. كانت الأنصار إذا كانت أيام جذاذ النخل أخرجت من حيطانها اليسر فعلقوه علي حبل بين الأسطوانتين في مسجد رسول الله ﷺ فيأكل فقراء المهاجرين منه.

فيعمد الرجل منهم إلي الحشف فيدخله مع أقناء اليسر، يظن أن ذلك جائز.

فأنزل الله تعالي فيمن فعل ذلك هذه الآية والله أعلم.

* * *

حديث القرآن عن نشأة الإنسان

قال تعالي ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾ (آل عمران : ٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن ولاه.

وبعد.

ففي هذه الآية الكريمة. بعد الآية التي تقدمتها. وهي قوله تعالي: ﴿إن الله لايخفي عليه شئ في الأرض ولا في السماء﴾ (آل عمران: ٥) يلمس تعالي المشاعر الإنسانية لمسة رقيقة عميقة تتعلق بالنشأة الإنسانية، النشأة المجهولة في ظلام الغيب، ظلام الأرحام حيث لا علم للإنسان ولا قدرة ولا إدراك. فهو وحده يمنحنا في أرحام أمهاتنا الصورة التي يشاء، ويمنحنا الخصائص المميزة لهذة الصورة. وهو وحده الذي يتولي هذا التصوير، بمحض إرادته، ومطلق مشيئته روي الإمام أحمد بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح. ويؤمر بأربع كلمات رزقه وأجله وعمله وهل هو شقي أو سعيد...» الحديث.

وفي رواية للإمام أحمد عن حذيفة بن أسيد الغفاري: «فيقول الملك يارب ماذا؟ شقي أم سعيد أذكر أم أنثي؟ فيقول الله فيكتبان. ويكتب عمله وأثره ومصيبته ورزقه ثم

تطوي الصحيفة فلا يزاد علي ما فيها ولا ينقص» ويقول ابن كثير: وقوله تعالي: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (المؤمنون: ١٤) يعني حين ذكر قدرته ولطفه في خلق هذه النطفة وانتقالها من حال إلي حال، وشكل إلي شكل، حتي تصورت إلي ما صارت إليه من الإنسان السوي الكامل الخلق.

ويقول السادة المفسرون: هذه الآية فيها تعريض بل تصريح بأن عيسي بن مريم عبد مخلوق كما خلق الله سائر البشر، لأن الله صوره في الرحم، وخلقه كما يشاء، فكيف يكون إلها وقد تقلب في الأحشاء، وتنقل من حال إلي حال.

ويؤكد ذلك ما رواه الإمام النسفي في سبب نزول هذه الآية وما تقدمها وما تلاها إلي بضع وثمانين آية في صدر سورة آل عمران. يقول الإمام النسفي: روي أنه قدم وفد بني نجران. وهم ستون راكبا. أميرهم العاقب. وعمدتهم السيد وأسقفهم وحبرهم أبو حارثة خاصموا في أن عيسي إن لم يكن ولد الله فمن يكون أبوه؟

فقال عليه الصلاة والسلام: « ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه» قالوا: بلي. قال: « ألم تعلموا أن الله تعالي حي لا يموت. وعيسي يموت. وأن ربنا قَيِّمٌ علي العباد يحفظهم ويرزقهم. وعيسي لا يقدر علي ذلك وأنه تعالي لا يخفي عليه شئ في الأرض ولا في السماء وعيسي لا يعلم إلا ما علم. وأنه صَوَّرَ عيسي في الرحم كيف شاء فحملته أمه ووضعته وأرضعته. وكان يأكل ويُحْدث. وربنا منزه عن ذلك كله» فانقطعوا. فنزل فيهم صدر سورة آل عمران. هذا وأما ما يقال من تأثير للصور التي تراها الأم في صورة الجنين فكلام لا دليل عليه. والله أعلم.

* * *

تزيين الله للناس حب الشهوات في الدنيا. وتفضيل ما عند الله في الدار الآخرة

يقول تعالي: ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة

من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب * قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهّرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ﴾ (آل عمران: ١٤، ١٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن ولاه.

وبعـــد.

ففي هذه الآيات الكريمة يخبرنا تعالي عما زينه للناس في هذه الحياة من أنواع الملاذ وعما أودعه في فطرة الإنسان من رغائب، وقد ذكر هنا أمهات الشهوات المركوزة في الفطر، ورتبها في الذكر حسب ترتيبها في التأثير في نفوس خلقه.

فالنساء أولا ثم البنين ثم الأموال الكثيرة ثم الخيل ثم الأنعام من الأبل والبقر والغنم ثم الأرض الزراعية.

والإسلام لا ينفر المسلم من الاستمتاع بهذه النعم، وإنما فقط يحب له ألا يغرق فيها وفي طلبها، وألا يجعلها أكبر همه ومبلغ علمه، لأن ذلك يصرفه عن طلب ما عند الله من جنات تجري من تحتها الأنهار، ،وأزواج مطهرة في الجنان.

ويصرفه عما هو أعظم من ذلك كله،من نعيم الدنيا ونعيم الآخرة، ألا وهو رضوان الله. ورضوان من الله أكبر.

وقد فصل العلماء مواقف الإنسان من هذه الشهوات. فذموا بعض المواقف، وأثنوا خيرا علي المواقف الأخري.

فمن طلب النساء للمتعة وللمتعة فحسب، وجعل همه ذاك، فذلك مذموم شرعا، قال ﷺ :« ما تركت بعدي فتنة أضر علي الرجال من النساء». فأما إذا كان القصد الإعفاف لنفسه ولزوجه وكثرة الأولاد، فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليه.

وقد ورد الكثير من الأحاديث النبوية يرغب في الزواج والاستكثار منه. قال ﷺ الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة،إن نظر إليها سرته،وإن أمرها أطاعته،وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله» كما قال ﷺ:« حبب إلي النساء والطيب وجعلت قرة عينيي في الصلاة».

وكذلك الأمر بالنسبة لحب البنين. فمنه ما هو مذموم، وذاك إذا طلب البنين للتفاخر والزينة ومنها ما هو محمود وذلك إذا طلب البنين لتكثير النسل، وتكثير أمة محمد ﷺ ممن يعبد الله وحده. قال ﷺ: « تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة .

وكذلك شأن حب المال. منه ما هو مذموم، كما إذا طلبه للفخر والخيلاء والتكبر علي الضعفاء، ومنه ما هو محمود كأن يبتغيه ليستغني به، وينفق منه علي من يعول، ويؤدي فيه حقوق الله ويطلبه من حله .

والخيل يتناولها هذا التقسيم. وكذلك الأنعام والحرث .

وهكذا شأن الإسلام لا يصادم الفطرة، وإنما يستعلي بها ويهذب من رغائبها .

وعلي هذا فالمسلم في حدود ماشرع الله يستمتع بهذه المتع الست المذكورة في هذه الآيات، غير أن طلبه لما عند الله هو أساس سلوكه، وطلبه لرضوان الله الباعث الأساسي لجميع تصرفاته، يطلب الآخرة غير ناس الدنيا، ويطلب الدنيا وهو ذاكر للآخرة، إنه يطلب الحياتين معا، ويعمل لهما معا، غير أن هدفه الأساسي ومطلبه الرئيسي إنما هو طلب رضوان الله، وهو في ذلك يجد سعادة نفسه، وطمأنينة قلبه، وراحة باله، لا يبكي علي شئ يفوته من الدنيا، وإنما يبكي علي ما يفوته من عبادات، ترضي مولاه، وهو واضع نصب عينيه قول مولاه ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسي نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين** ﴾(القصص:٧٧). فالمؤمن إذا نسي فإنما ينسي نصيبه من الدنيا، فلذا ذكره الله به، وأما نصيبه من الآخرة فهو نصب عينيه، فكيف ينساه، عكس الغافلين من أبناء الدنيا وطلابها، فإنهم لا ينسون نصيبهم منها وإن قل، وإنما ينسون وينسون نصيبهم مما عند الله، مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر .

والله الموفق والهادي إلي سواء السبيل . والله أعلم .

* * *

(حديث القرآن عن مريم بنت عمران وما أكرمها الله به من خوارق العادات)

تفسير قوله تعالي ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أني لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾؟ (آل عمران: ٣٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا جزء من آيه كريمة من سورة آل عمران. هي قوله تعالي ﴿ **فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أني لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾.

وفي هذه الآية الكريمة يحدثنا الحق تبارك وتعالي عن طرف من طفولة وشباب مريم بنت عمران عليها السلام. فلقد نذرتها أمها وهي لا تزال جنيناً في بطنها لخدمة بيت المقدس. ظناً منها أن ما في بطنها ولد، فلما وضعتها أنثي حزنت خوف ألا تقبل بين خدم بيت المقدس،غير أن المولي عز وجل قد تقبل مريم من أمها وأنبتها نباتاً حسنا. فكانت ذات منظر بهيج وشكل مليح،ويسر لها أسباب القبول، كما يسر لها أن تكون في كفالة نبي كريم، وهو زكريا عليه وعلي نبينا الصلاة والسلام، وهو زوج خالتها أيضا،كما ورد في الصحيح من حديث الإسراء والمعراج حيث قال ﷺ « فإذا بيحي وعيسي وهما ابنا الخالة » .

وكانت مريم عليها السلام يتيمة. فيسر الله لها خالتها مكان أمها. والخالة بمنزلة الأم كما ورد في الصحيح. وزادها كفالة نبيه زكريا مكان أبيها المتوفي.

ولا تزال نعم المولي وخيراته تتوالي علي اليتيمة المنذورة لخدمة بيت المقدس.

فكانت توجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء. بصفة مستمرة بدلالة قوله تعالي﴿ **كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا**﴾

فلفظ كلما يدل علي الدوام والاستمرار. هذا ولفظ المحراب معناه: الغرفة الخاصة بعبادتها. فإذا رأي زكريا هذا قال: يا مريم أني لك هذا.

والمعني من أين لك هذا. فتقول السيدة مريم:هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب . وكان يكفي في الجواب أن تقول: هو من عند الله.

ولكنها لمزيد فقهها عللت ذلك بقولها إن الله يرزق من يشاء بغير حساب .

مشيرة إلي أن قدرة الله لا تحد .

هذا وما وقع لمريم من خرق العادة لها بوجود فاكهة الصيف في الشتاء وبالعكس هو ما يسمي بالكرامة.

قال ابن كثير: وفي السنة له نظائر كثيرة في الأمة الإسلامية.

روي الحافظ أبو يعلي بسندة عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أقام أياما لم يطعم طعاماً حتي شق ذلك عليه. فطاف في منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن شيئاً. فأتي فاطمة فقال يا بنيتي هل عندك شئ آكله فإني جائع قالت: لا والله. فلما خرج من عندها. بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم. فأخذته منها. ووضعته في جفنة لها. وقالت: والله لأوثرن بهذا رسول الله ﷺ علي نفسي ومن عندي. وكانوا جميعاً محتاجين إلي شبعة طعام. فبعثت حسنا أو حسينا إلي رسول الله ﷺ فرجع إليها. فقالت: بأبي أنت وأمي قد أتي الله بشئ فخبأته لك. قال: هلمي يا بنيه قالت فأتيته بالجفنه فكشفت عنها فإذا هي مملوءة خبزا ولحما.

فلما نظرت إليها بهت وعرفت أنها بركة من الله فحمدت الله وصليت علي نبيه وقدمته إلي رسول الله ﷺ فلما رآه حمد الله وقال : من أين لك هذا يا بنيه.

قالت يا أبت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب. فحمد الله وقال: الحمد لله الذي جعلك يا بنيه شبيهه بسيدة نساء بني إسرائيل.

فإنها كانت إذا رزقها الله شيئا وسئلت عنه قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب. فبعث رسول الله ﷺ إلي عليٍّ ثم أكل رسول الله ﷺ . وأكل علي وفاطمة وحسن وحسين وجميع أزواج النبي ﷺ وأهل بيته حتي شبعوا جميعاً. قالت: وبقيت الجفنة كما هي. قالت: فأوسعت ببقيتها علي جميع الجيران. وجعل الله فيها بركة وخيراً كثيراً .

وروي شيخ الإسلام ابن تيميه في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان عن كرمات الأولياء ما يشبة معجزات الأنبياء .

من ذلك ما رواه عن أبي مسلم الخولاني. لما طلبه الأسود العنسي عند ما ادعي النبوة فقال له: أتشهد أني رسول الله فقال أبو مسلم: ما أسمع فقال له الأسود: أتشهد

أن محمدا رسول الله قال: نعم فأمر الأسود بإيقاد نار عظيمة له. وإلقاءه فيها. ولما خمدت النار بعد أيام وجدوه فيها قائماً يصلي. ولما قدم أبو مسلم الخولاني المدينة بعد موت النبي ﷺ أجلسه عمر بينه وبين أبي بكر الصديق رضي ﷺ عنهما. وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتي رأيت من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله

ومر عامر بن قيس بقافلة قد حبسهم الأسد فجاء حتي مس بثيابه الأسد ثم وضع رجله علي عنقه. وقال: إنما أنت كلب من كلاب الرحمن وإني أستحي من الله أن أخاف شيئاً غيره. حتي مرت القافلة بسلام هذا وقد آثرت نقل هاتين الكرامتين عن ابن تيمية. لما هو معروف عنه من تشدد في إثبات الكرامات. والله أعلم.

* * *

لماذا كان المسلمون خير الأمم؟

يقول تعالي: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾ (آل عمران: ١١٠)

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن ولاه. وبعد.

ففي هذه الآية يخبرنا المولي عز وجل بأننا خير الأمم وإن كنا جئنا في الخلق آخر الأمم، ومن هنا فنحن أول الأمم دخولاً الجنة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة نحن أول الناس دخولا الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه. الناس لنا فيه تبع غداً لليهود، وللنصاري بعَد غد» رواه البخاري ومسلم.

وقد فسر ﷺ طرفاً من سرِّ هذه الخيرية. فذكر أن سببها أننا نحمل الناس علي دخول الجنة. روي البخاري بسنده عن أبي هريرة عنه ﷺ في تفسير هذه الآية قال ﷺ: «خيرُ الناس للناس يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتي يدخلوا في الإسلام».

ومن أسباب هذه الخيرية ما من الله به علي هذه الأمة الإسلامية من اختصاصها

بسيد الأنبياء ﷺ، وأكمل شرع أنزله الله سبحانه وتعالي. قال سبحانه وتعالي: ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ومن أسباب هذه الخيريه أن عدد الصالحين فيها مضاعف بالنسبه للصالحين في غيرها من الأمم عن النبي ﷺ أنه قال: «عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد.

إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسي وقومه.

ولكن انظر إلي الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلي الأفق الآخر فإذا سواد عظيم. فقيل لي: هذه أمتك. ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» رواه مسلم بل لقد صرح ﷺ بأن أمته وحدها نصف أهل الجنة ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: قال لنا ﷺ :« أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة» فكبرنا ثم قال:« أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة» فكبرنا ثم قال: «إني لأرجو أن تكونوا شَطْر أهل الجنةَ».

أخي أيها المسلم وهذه الآية عامة في جميع الأمة الإسلامية في جميع الأزمنه كل قرن بحسبه. فالمسلمون في كل زمان خير أمم الأرض بسبب وجود من يتصف بهذه الصفات التي اشتملت عليها هذه الآية بينهم، وهذه الصفات هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ، والإيمان الكامل بوجود الله ووحدانيته واتصافه تعالي بكل كمال، وتنزهه عن كل نقص. فقد امتاز المسلمون في جميع الأزمنة باتصافهم بهذه الصفات.

وقد وبخ الله في ختام هذه الآية أهل الكتاب علي عدم إيمانهم بالإسلام الذي جاء مصدقا لما معهم، وأثني علي القليل منهم الذي دخل الإسلام. والله أعلم

* * *

تفسير قوله تعالي: ﴿ **وجنة عرضها السموات والأرض** ﴾ (آل عمران: ١٣٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا تنبيه علي اتساع الجنة، أي إذا كان هذا هو عرضها فما ظنك بطولها ويسأل البعض فأين النار أذن؟ روي الأمام أحمد في مسنده أن هرقل كتب إلي النبي ﷺ. إنك دعوتني إلي جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ فقال ﷺ «سبحان الله فأين

الليل إذا جاء النهار؛ وكأنه إشارة منه ﷺ إلي أن النهار إذا كان في جانب من الأرض، فإن الليل يكون في الجانب الآخر. قال ابن كثير: فكذلك الجنة في أعلي عليين فوق السموات السبع، تحت العرش العظيم، والنار في أسفل سافلين

والله أعلم.

* * *

الموت حق علي جميع العباد فالرسول الله ﷺ يموت. وعلي الأمة الثبات علي الإسلام

فيقول تعالي ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم علي أعقابكم ومن ينقلب علي عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين﴾ (آل عمران : ١٤٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن ولاه.

وبعد.

لما أنهزم من أنهزم من المسلمين يوم أحد وقتل من قتل منهم. نادي الشيطان ألا إن محمدا قد قتل.

ورجع ابن قمئة إلي المشركين فقال لهم: قتلت محمدا. وإنما كان قد ضرب رسول الله فشجه في رأسه. فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس واعتقدوا أن رسول الله ﷺ قد قتل فحصل ضعف ووهن وتأخر عن القتال.

يروي ابن أبي نجيح عن أبيه: أن رجلا من المهاجرين مر علي رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمة فقال له: يا فلان أشعرت أن محمدا ﷺ قد قتل فقال الأنصاري: إن كان محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الربيع قال:

« لما أصابهم يوم أحد ما أصابهم من القرح. وتداعوا نبي الله قد قتل: فقال أناس: لو كان نبيا ما قتل. وقال أناس: قاتلوا علي ما قاتل عليه نبيكم حتي يفتح الله

عليكم أو تلحقوا به فأنزل الله هذه الآية.

وكذلك رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة.

كذلك ثبت أن ذلك سبب نزول الآية في الصحاح والمسانيد والسنن وغيرها من طرق متعددة

ولهذه الآية قصة أخري يوم وفاته ﷺ.

فلقد حمل سيدنا عمر سيفه حينما سمع نبأ وفاته ﷺ. وهدد من يقول إنه ﷺ قد مات. قائلا: إنه ﷺ قد ذهب للقاء ربه وسيعود: وقال: إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله قد مات: وإن رسول الله والله ما مات. ولكنه ذهب إلي ربه كما ذهب موسي بن عمران، فقد غاب عن قومة أربعين ليله. ثم رجع إليهم بعد أن قيل: قد مات. وليرجعن رسول الله كما رجع موسي فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله مات.

وفي هذه الأثناء أقبل أبو بكر وعمر يتكلم. فقال اجلس يا عمر ودخل علي عائشة فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغطي بثوب حبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه وقبله وبكي. ثم قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله: أما الموتة التي كتبت عليك فقدمتها وخرج علي الناس فقال: من كان يعبد محمدا فإن محمد قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا هذه الآية.

قال الراوي: فوالله لكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية حتي تلاها عليهم الصديق وخر عمر فلم تحمله قدماه. والله أعلم.

* * *

الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون

يقول تعالي ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين** ﴾ (آل عمران: ١٦٩-١٧١).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن ولاه.

وبعـــد.

لئن كانت الحياة طعاما من تراب هذه الأرض يطعمه الإنسان. وشرابا من مائها يشربه.

وما ينتج من طعام هذا شأنه، وشراب ذاك نبعة، فليس للشهيد من هذه الحياة شئ.

أما إن كانت الحياة أعمق من ذلك وأبعد أثرا وتنزها عن كدورات هذه الحياة الدنيا فللشهيد منها الحظ الأوفر والنصيب الأكبر.

ومالهم لا يكون هذا شأنهم. والمولي يحدثنا عنهم أنهم أحياء في رحاب فضله ومستقر رحمته، وواسع جنانه. ينعمون بالنعيم الدائم في خير جوار، قد أبيحت لهم أنهار الجنة وثمارها.

طعام لا كالطعام، وشراب لا كالشراب. فشتان بين طعام الأرض وطعامهم وشراب الأرض وشرابهم.

وهيئت لهم مساكن. لا في جبال الأرض وهجيرها ورمهريرها، ولكن في ساق العرش، قناديل من ذهب، فطاب المثوي وكرم المأوي.

لذلك فرحوا بما أوتوا، واستبشروا بما هئ لإخوانهم الذين هم علي آثارهم من هذه الحياة التي ذاقوا طعمها. وسعدوا بها، وعرفوا من شأنها بجانب ما تقدم جانبا آخر لا يقل متعة عن سابقه، ذلك هو الأمن والطمأنينة.

فلا خوف من وقوع محذور، ولا حزن علي فوات مطلوب.

ومن أين يتسرب الخوف إلي هذه الرحاب، والحزن إلي تلكم الساحات. ساحات الكرم والمثوبة. وحسن الجوار.

ولذلك تمنوا أن يعلم إخوانهم ما صنع الله لهم لئلا يزهدوا في الجهاد، وقد حقق الله لهم أمنيتهم، فأنزل هذه الآيات.

روي أحمد وأبو داود والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

قال رسول الله ﷺ: « لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر. ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلي قناديل من ذهب معلقة بساق العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن منقلبهم قالوا. ياليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد وينكلوا عن الحرب فقال الله: أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله تعالي هذه الآيات. والله الموفق والهادي إلي سواء السبيل .

* * *

التوكل علي الله مفتاح النصر والفرج

فيقول تعالي ﴿ **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم * الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم** ﴾ (آل عمران : ١٧٢ ـ ١٧٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن ولاه. وبعـــد.

كان هذا يوم حمراء الأسد. وذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين يوم أحد كروا راجعين إلي بلادهم. فلما استمروا في سيرهم ندموا. لِمَ لمْ يتمموا علي أهل المدينة وينتهوا منهم .

فلما بلغ ذلك سيدنا رسول الله ﷺ ندب المسلمين للخروج للقتال. ليرهب المشركين. ويريهم أن بالمسلمين قوة، وأذن مؤذن الرسول ﷺ ألا يخرج لقتال المشركين آنذاك إلا من شهد أحدا. ولم يأذن لأحد لم يشهد غزوة أحد بالخروج معه إلا لجابر بن عبد الله بن جرام. الذي استشهد أبوه سيدنا عبد الله بن حرام يوم أحد. وكان قد خلفه علي أخواته. وكن تسع فتيات. قائلا له :يا بني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن. ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ علي نفسي فتخلف علي أخواتك فتخلف عليهن .

فخرج رسول الله ﷺ في أصحابه وهم مثقلون بالجراح للقاء المشركين فقذف الله الرعب في قلوب المشركين. فرجعوا عما عزموا عليه من العود لاستئصال المسلمين .

روي ابن أبي حاتم بسنده عن عكرمة قال :

لما رجع المشركون عن أحد قالوا: لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم بئسما صنعتم ارجعوا. فسمع رسول الله ﷺ بذلك. فندب المسلمين فانتدبواحتي بلغوا حمراء الأسد. فقال المشركون: نرجع من قابل فرجع رسول الله ﷺ . فأنزل الله هذه الآيات.

وروي ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال: إن الله قذف الرعب في قلب أبي سفيان يوم أحد. بعد الذي كان منه فرجع إلي مكه. فقال النبي ﷺ: « إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفا . وقد رجع. وقذف الله في قلبه الرعب » . والله أعلم.

* * *

العفو عن المشركين وأهل الكتاب والصبر علي أذاهم رجاء إسلامهم

﴿ لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذي كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ (آل عمران : ١٨٦).

سبب نزول هذه الآية ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

روي البخاري في صحيحه بسنده عن عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد حدثه أن رسول الله ﷺ ركب علي حمار عليه قطيفة فدكيه، وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة ببني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر، حتي مر علي مجلس فيه عبد الله

روى أبن أبى حاتم وابن المنذر بإسناد حسن عن ابن عباس أنها نزلت فيما كان بين أبى بكر وابن فنحاص اليهودى فى قوله تعالى ﴿ إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ فغضب أبو بكر فنزلت .فكان النبى ﷺ يعفو عنهم كما أمره الله حتى اذن الله له فيهم كما فى هذه الآية .

ابن أبي بن سلول. وذلك قبل أن يسلم ابن أبـي أي قبل أن يظهر إسلامـه نفاقاً ـ وإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان وأهل الكتاب اليهود .

وفي المجلس عبد الله بن رواحة ، فلما غشيت المجلس عـجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه . وقال: لا تغبروا علينا .

فـسلم رسول الله ﷺ ثم وقف، فنزل ودعـاهم إلي الله عـز وجل وقرأ عليـهم القرآن. فقال عبد الله بن أبي: أيها المرء إنه لا أحـسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا. ارجع إلي رحلك فمن جاءك فاقصص عليه.

فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه: بلي يا رسـول الله فاغشنا به في مجالسنا فإنا نحب ذلك .

فاسـتب المسلمون والمشركـون واليهود. حتي كـادوا يتناورون. فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حـتي سكتوا. ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتي دخل علي سـعد ابن عبادة فقال له النبي ﷺ :« يا سعد ألم تسمع إلي ما قال أبو حباب » .

يريد عـبد الله بن أبي: قـال: كذا كـذا . فـقال سـعد: يارسـول الله اعف عنه واصفح فو الذي أنزل عليك الكتاب لقد جاءك الله بالحق الذي نزل عليك.

ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة علي أن يتوجوه فـيعصبوه بالعصابة. فلما أبي الله ذلك بالحق الذي أعطاك شرق بذلك. فذلك الذي فعل به ما رأيت.

فعـفا عنه رسول الله ﷺ. و كان رسـول الله ﷺ وأصحابه يعفـون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون علي الأذي قبل غزوة بدر، وذلك لقوله تعالي: ﴿ **ولتـسمـعن من الذين أوتـوا الكتاب من قـبلكم ومن الذيـن أشركـوا أذي كـثيـرا وإن تصبروا وتتقـوا فإن ذلك من عزم الأمور** ﴾ وقال تعالي: ﴿ **ودَّ كثيرٌ من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفـارا حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تـبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتي يأتي اللهبأمره** ﴾ (البقرة : ١٠٩) وكان النبي ﷺ يتأول في العفو ما أمره الله به حتي أذن الله له فيهم فلما غزا رسول الله ﷺ بدرا. فقتل الله به صناديد كفار قريش قال ابن أبي ابن سلول ومن معه من المشركين وعبـدة الأوثان: هذا أمر قد توجه فبايعوا الرسول ﷺ علي الإسلام فأسلموا.

وسر ابتلاء المسلم في ماله ونفسه أن ذلك سنه ربانيه أن يبتلي المسلم في ماله ونفسه فإن الابتلاء يصهر معدن المسلم، وينقيه من الشوائب، ويزيده قوة وصلابة. ولقد تكررت الآيات القرآنية التي تتحدث عن ابتلاء الله عز وجل للمسلم قال تعالي: ﴿ **ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين** ﴾ (البقرة :١٥٥).

وذلك أن خالق الأنفس أعلم بما يصلحها، وصلاح الأنفس في هذا الابتلاء وإن النفوس التي تألف الدعة ورغد العيش نفوس هشه لا تصلح للحياة الدنيا ذات الكد والتعب والشقاء والنصب.

والابتلاء يثمر ثمرته إذا كان معه الصبر والتقوي، أما إذا لم يوجد معه الصبر والتقوي فإن صاحبه يتحطم أمام أحداث الحياة ولأوائها وصعابها.

ومن هنا نري شيوع اليأس والانتحار بين المجتمعات غير الإسلامية، وقلة ذلك في المجتمعات الإسلامية.

كما أن الابتلاء يستثير القوي الكامنة وينميها ويجمعها ويوجهها.

كما أن التقوي تحول بين المسلم في صراعه المرير مع ما ينزل به من بلاء، فلا يشتط وهو يرد الاعتداء فيعتدي ويفجر في الخصومة، ولا ييأس من رحمة الله ويقطع أمله في نصره وهو يعاني الشدائد.

وسر تقديم الابتلاء في المال علي الابتلاء في النفس

يرجع إلي أن الفتنه في المال أشد، فإن الإنسان يحمي ماله بنفسه ولذا قدم المال علي الولد كذلك في قوله تعالي : ﴿ **إنّما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾ (الأنفال٢٨)

كما أن الابتلاء في المال أكثر، فالآفات التي يتعرض لها المال أكثر من الآفات التي يتعرض لها الإنسان في بدنه.

فعلي المسلم أن يوطن نفسه علي الصبر عند الشدائد، والاعتصام بتقوي الله عز وجل حتي لا يضل ولا ينحرف. ولا ييأس وينهار والله أعلم.

* * *

أخذ الله الميثاق علي أهل الكتاب ألا يكتموه عن الناس

قال تعالي: ﴿ و إذا إخذ الله ميثاق الذين أوتو الكتاب لتبيننه للنّاس ولا تكتمونه فنبذوه ورآء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون * لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾ (آل عمران: ١٨٧ . ١٨٨) وسبب نزول هذه الآيات

ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس أن النبي ﷺ سأل اليهود عن شئ فكتموه إياه. وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه. واستحمدوا بذلك إليه. وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ماسألهم عنه. وأنه في هذا انزلت آية ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ﴾ الآية

وفي رواية أخري للبخاري بإسناده عن أبي سعيد الخدري أن رجالا من المنافقين في عهد رسول الله ﷺ. كانوا إذا خرج رسول الله إلي الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ فإذا قدم رسول الله ﷺ من الغزو اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدو بما لم يفعلوا.

يقول الإمام ابن كثير: ولا منافاة بين ما ذكره ابن عباس. وما ذكره أبو سعيد الخدري لأن الآية عامة في جميع ما ذكر. أي تشمل كل من أحب أن يحمد بما لم يفعل وذلك لأن العبرة بعموم لفظ الآية ولا بخصوص سببها.

ومعني الآية الأولي من هاتين الآيتين

توبيخ من الله عز وجل، وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد علي ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بسيدنا محمد ﷺ. وأن ينوهوا بذكره بين الناس حتي يكونوا علي استعداد للإيمان به عند مبعثه.

فكتموا ذلك رغبة في الدنيا، وحرصا علي مناصبهم. وما أخذوه من الدنيا عوضا عما فاتهم من ثواب الله قليل لا وزن له. ومن هنا قال تعالي موبخاً لهم: ﴿واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون ﴾.

وفي الآية تحذير لعلماء هذه الأمة الإسلامية من مثل هذا الصنيع حتي لا يصيبهم ما أصاب علماء أهل الكتاب، فليس بين الله وبين أحد من عبادة نسب، فعلي العلماء،

أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع والدال علي العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئاً. فقد ورد في الحديث النبوي الشريف المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» وهكذا تنزل تلك الآية في أهل الكتاب، ثم تشمل بتوبيخها وتهديدها كل من فعل مثل فعلهم من غيرهم أيضا. والله أعلم.

وقوله تعالي: ﴿ **لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب** ﴾ (آل عمران/١٨٨) يشمل وإن كانت الآية لها مزيد اختصاص بأهل الكتاب والمنافقين كل من فرح بما أتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل.

روي الإمام أحمد في مسنده بسنده عن ابن أبي مليكه أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن مروان. قال: اذهب يا رافع لِبَوَّابه. إلي ابن عباس: فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتي وأحب أن يُحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن جميعا؟ فقال ابن عباس: مالكم وهذه. إنما نزلت هذه في أهل الكتاب ثم تلا هاتين الآيتين.

وروي ابن مردويه في تفسيره عن زيد بن أسلم قال:

قال أبو سعيد ورافع بن خديج وزيد ابن ثابت: كنا عند مروان فقال: يا أبا سعيد أرأيت قوله تعالي: ﴿ **لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا** ﴾ (آل عمران:١٨٨) ونحن نفرح بما أَتَينا ونحب أن نُحمد بما لم نفعل؟

فقال أبو سعيد: إن هذا ليس من ذاك إنما ذاك أن ناسا من المنافقين يتخلفون إذا بعث رسول الله ﷺ بعثا. فإن كان فيهم نكبة فرحوا بتخلفهم وإن كان لهم نصر من الله وفتح حلفوا لهم ليرضوهم، ويحمدوهم علي سرورهم بالنصر والفتح. فقال مروان: أين هذا من هذا. ؟

ومن هاتين الإجابتين يتضح لنا أن الآية لها مزيد اختصاص بكتمان أهل الكتاب ما عندهم من العلم وخاصة ما يتصل بالبشارة به ﷺ.

كما أن لها مزيد اختصاص بالمنافقين وقعودهم عن الجهاد مع سيدنا رسول الله ﷺ. وإبداء الأعذار الكاذبه إذا عاد المسلمون منتصرين.

ويفرحون بما أتوا من الأعذار الكاذبة عن التخلف عن الجهاد، ويبتغون بتلك

الأعذار أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

ولكن يبدو لي أن الآية وإن كان لها مزيد اختصاص بصنيع أهل الكتاب وكتمانهم ما أمروا بنشره وخاصة ما جاء في كتبهم من البشارة بنبوة سيدنا محمد ﷺ ومزيد اختصاص بصنيع المنافقين من القعود عن الجهاد وانتحال الأعذار.

فإنها تشمل كل من أحب أن يحمد بما لم يفعل، منتحلا الأعذار الكاذبة للقعود عن المشاركة في العمل. وخاصة الجهاد في سبيل الله عز وجل.

إنه نموذج من نماذج البشرية التي تتصف بصفات الجبن والادعاء. نموذج يرسمه القرآن في لمسة أو لمستين فإذا ملامحه واضحة للعيان.

هؤلاء الناس لانجاة لهم من العذاب الأليم. جزاء ما اقترفوه.

والله أعلـــم .

* * *

مقارنة بين حال الكفار وحال المؤمنين المتقين

قال تعالي﴿ **لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد * متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد * لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار** ﴾ (آل عمران: ١٩٦ ـ ١٩٨). في هذه الآيات الكريمة يعقد تعالي مقارنة بين حال الكفار وحال المؤمنين المتقين، وذلك بسبب أن المسلمين قالوا يوما: هؤلاء الكفار لهم أموال وتجارات يتقلبون بها في البلاد وقد هلكنا نحن من الجوع، فنزلت هذه الآيات تكشف الستار عن حقائق الأمور.

فما أعطيه الكفار من أموال وتجارات، وما هم فيه من النعمة والسرور فهو إلي زوال، إنه من متاع الحياة الدنيا، وهو إلي زوال.

ثم يعقب ذلك عذاب دائم متصل يبدأ بانتهاء الحياة إنه يبدأ بالموت. فمن مات قامت قيامته. ويتصل عذاب القبر بعذاب الآخرة فلا يقاس ما هم فيه من النعيم الدنيوي. بما ينتظرهم من العقاب الأخروي قال ﷺ: « ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع» رواه الترمذي.

وأما المؤمنون المتقون الذين آمنوا بالله ،وأدوا أوامر الله، واجتنبوا ما نهي الله عنه فقد خصهم الله بدخول جنات تجري من تحتها الأنهار مع الخلود فيها.

وقد وصفت هذه الجنات بأنها. فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر، ويمتعون بهذه الجنات بمجرد الموت. كما قال ﷺ: «القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار».

وقد ورد وصف الجنة والنار في القرآن الكريم مرارا وتكرار والوصفان مرتبطان. حتي تكمل صورة الترغيب والترهيب.

ومشاهد الجنة في القرآن الكريم. تأخذ بالألباب. ومشاهد النار تزلزل القلوب. ولكنها الغفلة تحول بين القلوب وبين الانتفاع بما تسمع قال تعالي: ﴿ **كلا بل ران علي قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾ (المطففين: ١٤).

ويقدم للمؤمنين المتقين ما يقدم لهم من الجنة ونعيمها نزلا من عند الله. أي ضيافة من الملك الحق المبين الذي لا تنفذ خزائنه. ولا ينقطع نعيم جنته.

ثم تختم الآية بالرد الصريح علي سؤال الصحابة بذكر أن ما عند الله من الجنة ونعيمها خير للأبرار. وهم المؤمنون المتقون. سموا بالأبرار جمع بَرّ. والبر هو الذي لا يؤذي الذَّر. فهم قوم قد خلصوا للخير ظاهرا وباطنا. والله أعلم.

* * *

حل مشكلة من لم يجد قدرة مالية علي نكاح الحرائر العفيفات المؤمنات. ويخشي الوقوع في الزنا إذا لم يتزوج

قال تعالي :﴿ **ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما علي المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم** ﴾ (النساء: ٢٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه.

وبعد :

ففي هذه الآية حل لمشكلة من لم يجد قدرة مالية علي نكاح الحرائر العفائف المؤمنات، وعنده رغبة في الزواج ملحة، يخشي معها إن لم يتزوج أن يقع في الزنا.

والآية تتحدث عن مجتمع فيه أرقاء يأتون عن طريق حرب الكفار. فإن الإسلام يبيح للإمام أن يضرب الرق علي من يشاء من الأسري حسب مصلحة المسلمين.

في هذا المجتمع الذي توجد فيه إماء من جهة، ورغبة في النكاح تدفع إلي الزنا إن لم يتزوج الرجل، وعدم القدرة المالية علي نفقات الزواج من الحرائر العفائف المؤمنات من جهة أخري.

آنذاك يبح الإسلام للحر من الرجال إذا توفرت هذه الشروط، وهي عدم القدرة المالية علي الزواج من الحرائر العفائف المؤمنات، والرغبة الملحة في الزواج، وعدم القدرة علي كبت هذه الرغبة، مع الخوف من الوقوع في الزنا.

إذا اجتمعت هذه الشروط الثلاثة جاز للمسلم الحر الزواج بالأمة المؤمنة الذي يملكها مؤمن بإذن سيدها الذي يملكها. فالسيد هو ولي أمته لا تتزوج إلا بإذنه.

فإن كان مالك الأمة امرأة مؤمنة زوجها من يزوج سيدتها بإذن سيدتها وعلي مريد الزواج من الأمة أن يعطيها مهرها، ولا يبخس منه شيئا، ولا يتزوج إلا الأمة المؤمنة العفيفة، فلا يتزوج الأمة التي لا تمتنع عن الفاحشة وهي المومس التي لا ترد يد لامس، ولا يتزوج الأمة التي تتخذ لها عشيقا. وهو الخِدْن.

ثم يذكر تعالي حكم من ترتكب فاحشة الزنا من الإماء، وهو أن عليها نصف ما علي المحصنات ـ أي الحرائر ـ من العقاب. ولما كان الرجم بالحجارة حتي الموت لا يتجزأ، لأن الموت لا يتجزأ فعقوبة من تزني من الإماء الجلد خمسين جلدة، قبل الزواج وبعد الزواج. والآية تحدثت عن عقوبتها بعد الزواج. والحديث النبوي الشريف تحدث عن عقوبتها قبل الزواج فلا يعمل بمفهوم الآية مع منطوق الحديث، لأن المنطوق مقدم علي المفهوم فقد وردت أحاديث عامة في إقامة الحد علي الإماء. روي مسلم في

صحيحه عن الإمام علي رضي الله عنه أنه خطب فقال: يا أيها الناس أقيموا الحد علي إمائكم من أحصن منهن ومن لم يحصن. فإن أمة لرسول الله ﷺ زنت فأمرني أن أجلدها. فإذا هي حديثة عهد بنفاس. فخشيت إن جلدتها أن أقتلها. فذكرت ذلك للنبي ﷺ: فقال «أحسنت اتركها حتي تتماثل» والله أعلم.

* * *

الإسلام يحل نكاح الإماء عند العجز عن نكاح الحرائر.

قال تعالي ﴿ **وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامي فانكحوا ما طاب لكم من النسآء مثني وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم** ﴾ (النساء:٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

نعم يبيح الإسلام نكاح الحر من الأمة التي يملكها غيره، بشرط أن يكون عاجزا عن الزواج من الحرة، ويخاف علي نفسه الزنا. قال تعالي: ﴿ **ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فإذا أُحْصِنَّ فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما علي المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم. وأن تصبروا خيرٌ لكم والله غفور رحيم** ﴾ (النساء:٢٥) وإنما أمر الله بالصبر وترك الزواج من الأمة، لأن ولده منها يكون مملوكا لمالك الأمة. فكأنه تسبب في رق ولده، هذا ويجوز لمالك الأمة أن يستمتع بها بملك اليمن، ومن ولدته فهو ولده وينسب إليه، وله آنذاك أن يمتلك من الجواري ما يشاء ويستمتع بهن ولا يدخلهن في عدد الزوجات الأربع ولا يجوز لمن تحته زوجات حرائر أن يتزوج أمة غيره.

* * *

الله سميع بصير ازلا وأبدا وفعل كان مع الذات الإلهيه يفيد الدوام والإستمرار

يقول تعالي ﴿ إن الله كان سميعا بصيرا ﴾ (النساء:٥٨) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه.

وبعد :

فالله سميع بصير في الأزل. ولا يزال سميعا بصيرا. فصفات الله أزلية أبدية مثل ذاته تعالي. فهو سميع بصير في الماضي والحال والاستقبال.

وفعل كان هنا يفيد الدوام والاستمرار. بخلافه إذا استعمل مع الخلائق فانه يدل علي حدوث الفعل في الزمان الماضي فقط. والله أعلم.

* * *

الإسلام والإيمان إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعني وإذا افترقا في الذكر اتحدا في المعني

قال تعالي ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزآءه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً ﴾ (النساء:٩٣). ذكر الله في الآية من قتل مؤمنا. ولم يذكر من قتل مسلما. فهل إذا قتل شخصا مسلما يكون جزاءه جهنم أم لا ؟.

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه.

وبعد :

فأراك قد فرقت بين الإسلام والإيمان في هذه الآية ويبدو أنك فهمت ذلك من قوله تعالي ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾. ومن قوله ﷺ في حديث جبريل لما سأله عن الإسلام والإيمان. فقال «الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاه. وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » ولما سأله عن الإيمان قال

ﷺ: « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر حلوه ومره».

فـفرق القـرآن وحديث خـير الأنام ﷺ بين الأسـلام والإيمان، وهذا حق ولكن علماء الإسلام علمـونا أن الإسلام والإيمان إذا أجتمعـا في الذكر افترقـا في المعني كما تقدم في الآية السابقة وحديث جبريل السابق.

وإذا افترقا في اللفظ بأن ذكر الإسلام فقط أو الإيمان فقط،اجتمعنا في المعني.

فيكون المراد باللفظ المذكور ما يشمل المسلم والمؤمن معاً.

وعلي هذا ففي آيتنا هذه ذكر لفظ المؤمن فقط، فيـشتمل المسلم أيضا. فمن نطق بالشهـادتين فهو يعامل مـعاملة المسلم المؤمن، من حيث أحكام الشـرع في الدنيا، والله حسيبه في الآخرة فهو الذي يطلع علي خفايا القلوب.

فمـن قتل مـسلما مـتعمـدا بدون ذنب جناه فـهو يخلد في النار لأن القـتل من الكبائر.

وقد وردت نصوص تشهد بأنه لا توبة لمن قـتل مسلما عمدا. وقد ذهب إلي ذلك ابن عباس رضي الله عنهما وزيد بن ثابت وأبو هريرة وعبد الله بـن عمر وغيرهم كثير، مستـشهدين بحديث ابن عـباس. فقد قال ابن عـباس: والذي نفسي بيده لقـد سمعت نبيكم ﷺ يقول: « ثكلتة أمه قاتل المؤمن متعمـدا. يجئ يوم القيامة أخذه المقتول بشماله تشخب أوداجه من قبـل عرش الرحمن يلزم قاتله بشماله وبيـده الأخري رأسه. يقول: يارب سل هذا فيم قتلني. والذي نفـسي بيده لقد أنزلت هذه الآية فما نسخـتها آيه حتي قبض نبيكم». ولكن الجمهور علي أن لقاتـل المسلم متعمدا توبة. لقوله تعالي ﴿ **إن الله لا يغفـر أن يشرك به ويغفر مـادون ذلك لمن يشاء** ﴾ (النساء:٤٨) ولما ثبت في الصحيحين من حديث الإسـرائيلي الذي قتل مائة نفـس. ثم سأل عالما هل لي من توبة. فـقال له نعم، وأرشده إلي بلد صالح يعبد الله فيه مع أهله الصالحين. فمات في الطريق فقبضته ملائكة الرحمن . والله أعلـم.

* * *

الإسلام يمنع المسلمين من قتال من أعلن الشهادتين

ما تفسير قوله تعالي ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقي إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ (النساء: ٩٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه. وبعد :

كان المسلمون في صدر الأسلام بعد تشريع الجهاد في سبيل الله، يحيط بهم الأعداء من كل جانب، وكثيرا ما تمدر بهم المشركون، يتظاهر بعضهم بالإسلام ليكيد للمسلمين فكان المسلمون يحذرون غدر المشركون بهم دائماً.

ولكن الإسلام يأمر المسلمين بعدم قتال من أعلن الشهادتين، وأن كان لا يمنع من أخذ الحذر من جهته.

ولقد مر رجل علي نفر من أصحاب رسول الله ﷺ. فسلم عليهم والتسليم علامة علي الإسلام.

فقالوا ما سلم علينا إلاليحمي نفسه منا، فعمدوا إليه فقتلوه. فأنزل الله تعالي هذه الآية .

روي البخاري والترمذي والحاكم وغيره عن ابن عباس قال: مرَّ رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي ﷺ وهو يسوق غنما له. فسلم عليهم: فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعوذ منا. فعمدوا إليه فقتلوه وأتوا بغنمه النبي ﷺ. فنزلت هذه الآية.

ويروي في سبب نزولها قصة أخري. فيحتمل تعدد النزول. أو تعدد السبب.

روي الإمام أحمد بسنده عن القعقاع قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلي إضم. فخرجت في نفر من المسلمين. فيهم أبو قتادة الحارث بن ربعي. ومجلم بن جثامة بن قيس. فخرجنا حتي إذا كنا ببطن إضم مرّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعي علي قعود

له. معه متيع له ووطب من لبن فلما مر بنا سلم علينا فأمسكنا عنه وحمل عليه محلم بن جثامه فقتله لشئ كان بينه وبينه. وأخذ بعيره ومتيعه فلما قدمنا علي رسول الله ﷺ وأخبرناه الخبر نزلت فيه هذه الآية .

وفي رواية لابن جرير الطبري بسنده. زيادة علي ما تقدم. أن محلم بن جثامة جلس بين يدي رسول الله ﷺ بعد نزول الآية ليستغفر له.

فقال رسول الله ﷺ :« لا غفر الله لك» فقام وهو يتلقي دموعه في برديه فما مضت له سابقه حتي مات. ودفنوه فلفظته الأرض. فجاءوا إلي النبي ﷺ فذكروا له ذلك. فقال « إن الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله أراد أن يعظكم » ثم طرحوه بين صدفي جبل وألقوا عليه الحجارة. والله أعلـــم.

* * *

ما يحرم أكله من الحيوان وسبب تحريمه

قال تعالي ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح علي النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق ﴾ (المائدة: ٣) .

وسبب تحريم كل منها. علما بأن الدم ينقل في المستشفيات. وهناك من يأكل الخنزير.

بسم الله الرحمن الرحيم

يعلمنا المولي عز وجل في هذه الآية الكريمة تحريمه علينا أكل ما تضمنته من الميته، وهي ما مات من الحيوان بدون ذبح شرعي، أو اصطياد شرعي.

وسبب التحريم هو ما فيها من الدم المحتقن، والدم يحمل ما في البدن من مضار، ولذا جعل الذبح الشرعي لتخليص جسم الذبيحة من الدم.

وإذا كانت الميته تحرم لاحتباس الدم فيها، فيحرم الدم من باب أولي لنفس السبب، وهو حمله ما في جسم الحيوان من مضار.

وكان العرب في الجاهلية قبل الإسلام يجمعون دم الذبيحة ويجعلونه في أمعائها،

ويشوونه علي النار ويأكلونه.

وأما كون دم الإنسان ينقل في المستشفيات للمرضي فذلك موضوع آخر، وهو جائز شرعاً، ونقل الدم غير أكل الدم، فالمحرم أكل دم البهيمة، والجائز تنتقل دم الإنسان عن طريق الحقن، وبالتأكيد لا ضرر في ذلك، فالطب الحديث أقره، والشرع لا يحرمه.

ويحرم أكل لحم الخنزير ودهنه لما يحمله من الخبائث التي لا تستطيع الحرارة العالية أن تقضي عليها بالطبخ ،ولما يحمله من طباع غير كريمة تنتقل لآكلي لحمه وشحمه. وأما أكل بعض الناس له فلا ينفي عنه المضرة وإن لم تظهر سريعا لنا، والأبحاث الطبية الحديثه أكدت مضار أكل لحم الخنزير وشحمه.

ويحرم أيضا ما أهل لغير الله به، وهو ما ذكر عليه عند ذبحه اسم غير الله من صنم أو وثن، لأن الله تعالي أوجب أن تذبح مخلوقاته علي أسمه العظيم، فمعني أهل لغير الله به: رفع صوت الذابح عند ذبحه باسم غير الله، كأن يقول مثلا باسم اللات والعزي.

وحرم تعالي أيضا أكل المنخنقة وهي ما ماتت بسبب خنقها. وحرم أكل الموقوذة: وهي التي ضربت حتي ماتت من أثر الضرب وحرم المترديه وهي التي تقع من مكان عال حتي تموت وحرم النطيحه: وهي ما ماتت بسبب نطح غيرها لها. وحرم ما ماتت بسبب أكل السبع من أسد أو ذئب منها، وإن كان قد جرحها وسال الدم منها. ولو من مذبحها.

وعلة التحريم في هذه الخمسة الأخيره المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع هي احتباس الدم في العروق أي نفس علة تحريم المتية وتحريم الدم فإن أدركنا واحداً من هذه الخمسة وبه حياة مستقرة فذبحناه ذبحا شرعيا جاز لنا أكله حينئذ

وكذا يحرم علينا ما ذبح علي النصب: وهي حجارة كانت منصوبة حول الكعبة في الجاهلية يذبحون عليها قرابينهم للأصنام والاستقسام بالأزلام حرام علينا كذلك وهو عبارة عن طلب الإنسان معرفة ما قُسِم له عن طريق سهام ثلاثة، مكتوب علي أحدها أمرني ربي، وعلي الثاني نهاني ربي، والثالث لاكتابة عليه وتوضع في وعاء، ثم يمديده ويأخذ أحدها، فإذا خرج المكتوب عليه أمرني ربي مضي لحاجته وإذا خرج الناهي

توقف وإذا خرج الذي لم يكتب عليه شئ أعاد الاستقسام ومرتكب شئ من هذه المحرمات فاسق، أي خارج عن طاعة مولاه والله أعلم.

* * *

نزلت سورة الإنعام جملة واحدة؟

وشيعها سبعون ألف ملك عند نزولها وحفظها جملة واحدة رسول الله؟

بسم الله الرحمن الرحيم

نزلت سورة الأنعام جملة واحدة علي رسول الله ﷺ ليلا بمكة المكرمة قبل الهجرة. فقد روي الطبراني عن ابن عباس قال: نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة واحدة وحولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبح وروي الحاكم في المستدرك عن جابر قال: لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله ﷺ . ثم قال: « لقد شيع هذه السورة من الملائكة ماسد الأفق » وأما كيف يمكن حفظها جملة واحدة. فأعتقد أن السائل يسأل عن حفظ الرسول ﷺ لها عند نزولها عليه. والجواب عن ذلك أن المولي عز وجل قد تكفل له بجمع القرآن في صدره وتيسير قراءته علي لسانه كما سمعه من جبريل، وأن يبينه له ويفسره، في قوله تعالي « لا تحرك به لسانك لتعجل به . إن علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه » القيامه ١٦/١٩) والله أعلم.

تفسير قوله تعالي: ﴿ قل أغير الله أتخذ وليا. فاطر السموات والأرض ﴾ (الأنعام: ١٤)

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه. وبعد :

فإن إفراد الله عز وجل وحده بالألوهية هي أساس كل دين سماوي أنزله المولي علي أنبيائه ورسله. فالوحدانية هي دعوة الأنبياء والمرسلين جميعا قال تعالي: ﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلي قومه فقال: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ (المؤمنون: ٢٢)

وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ (الاعراف: ٦٥)

وقال صالح عليه السلام لقومة: ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ (الاعراف: ٧٣)

وقال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ (الاعراف: ٨٥)

وقال تعالي ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (الانبياء: ٢٥).

وآيتنا هذه تنكر أن يتخذ رسول الله ﷺ إلـه غير الله، وتأمره أن يعلن ذلك علي أمته، وتعلم سيدنا رسول الله ﷺ أن يعلم أمتـه بأن الله وحده هو المستحق للعبادة، لأنه خالق السموات والأرض ابتداء من العدم وما فيهما وما بينهما، ولأنه الذي يرزق جميع المخلوقـات من غيـر حاجـة منه تعالي إليـهم ثم يؤمر ﷺ بأن يكون سـابق أمتـه إلي التوحيد، وقد فعل ﷺ ثم تؤكد الآية نهيه ﷺ عن الشرك الذي هو مضاد للتوحيد.

ولا يتصور منه ﷺ شرك .

وإنما الآية خطاب له ﷺ، ولأمته معه في شخصه.

وقد وصف تعـالي الشرك بأنه ظلم عظيم، لأنه تسوية بين من لا نعـمة إلا وهي منه ومن لا نعمة له أصـلا. فقال تعالي حاكيا ذلك علي لسـان لقمان وهو ينصح ولده ﴿يا بني لا تشرك بالله. إن الشرك لظلم عظيم ﴾ (لقمان: ١٣).

وقال تعالي ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق ﴾ (النحل: ١٧) فدل هذا علي أن غير الله لا يخلق شيئا أبدا، فلا نعمة تصدر عن أحد غيره سبحانه وتعالي.

قال سبحانه: ﴿ الله خالق كل شئ وهو علي كل شئ وكيل﴾ (الزمر: ٦٢).

فمن علم ذلك كله ثم عبد مع الله غيره من مخلوقاته، فهو ظالم لنفسه مبين، أن عرض نفسـه لسخط الله من غير سـبب يجره لذلك. وفي الصحيـحين عن عبد الله بن مسـعود قـال : قلت يارسـول الله أي الذنب أعظم قال«أن تجـعل لله ندا وهو خلقك» صدق رسول الله ﷺ . والله أعلـــم .

* * *

جواز خلط مال اليتامي بمال الوصي إن كان ذلك في صالحهم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه.

وبعد :

فللوصي الحق في خلط مال اليتيم بماله والإنفاق علي نفسه وعلي اليتامي من فائدة هذا المال، بشرط أن يكون العائد من مالهم لو عزل في حدود نفقتهم فحسب أو أقل من نفقتهم. أما إن كانت فائدة مالهم لو عزل أكثر من نفقتهم فيجب عزل مالهم ونفقتهم والإنفاق عليهم من فائدة مالهم، وضم الزائد إلي رأسمالهم.

وللوصي الحق إن كان محتاجاً وهم أغنياء، أن يأخذ من فائدة مالهم في حدود خدمته لهم وتمسيره لأموالهم. قال تعالي ﴿ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف﴾ (النساء:٦) صدق الله العظيم . والله أعلم .

* * *

تفسير قوله تعالي ﴿ ومآ أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ﴾ (الاعراف:٩٤) الآيات .؟

بسم الله الرحمن الرحيم

يحدثنا المولي عز وجل في هذه الآية والآيتين اللتين بعدها عن قانون من قوانين السماء يعمل في الناس عمله ويترك فيهم أثره. والجاهلون بسنن الله في كونه عنه غافلون، أحوج ما يكونون إلي فهمه ليتفادوا ما ينزل بهم من بلاء بسبب الغفلة عنه. ذلكم القانون هو ابتلاء الله من يرسل إليهم رسول برسالة من عنده فيعرضوا عنها ويتنكروا لها. ابتلاءهم بالبأساء والضراء ليرجعوا إلي الله ضارعين، فإذا لم يتنبهوا رفع عنهم الشدائد، وابتلاهم بالخيرات لعلهم يرجعون لخالقهم ويؤمنون به، ويوالي عليهم إنعامه حتي يكثروا، فإذا لم يرجعوا إليه أيضا بذلك وتبجحوا فعللوا الأشياء بغير أسبابها الحقيقة جهلاً منهم وقالوا: إنما هو الدهر قلب. وقد نزل بآبائنا من السراء والضراء مثل ما نزل بنا.

آنذاك يباغتهم الله بعقوبته، أي يفاجئهم بها قال تعالي :

﴿وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلنا بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون * ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتي عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لايشعرون ﴾ (الاعراف: ٩٤، ٩٥) و البأساء: ما يصيب الإنسان في بدنه من أمراض. والضراء: مايصيبهم من فقر وحاجة. وقوله: حتي عفَوْا. أي حتي كثروا.

ثم ذكر المولي عز وجل قانوناً آخر من قوانين السماء في قوله: ﴿ ولو أن أهل القري امنوا واتقوْا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا. فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ (الأعراف: ٩٦).

أي لو أن أهل القري. أي الناس جميعاً الذين وصلتهم رسالات السماء آمنوا بالله عز وجل واتقوه بفعل الطاعات وترك المحرمات، لفتح عليهم خزائن رحمته وغمرهم بخيره، وجاءتهم بركاته سبحانه وتعالي من فوقهم ومن تحت أرجلهم، حبًا منه للمتقين وكرما، وخزائنه لا تنفذ قال تعالي ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ﴾ (النحل: ٩٦) وقال تعالي: ﴿ إنما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ (النحل: ٤٠) وهذا الخير يختلف عن الخير في الآيتين السابقتين فالخير مع المكذبين امتحان يعقبة هلاك، والخير هنا رحمة وإكرام وهو موصول غير مقطوع ما اتصلت أسبابه.

وهذان القانونان يعملان في المسلمين عملهما، ويتركان فيهم أثرهما. والجمهرة من المسلمين عن ابتلاء الله لهم بالشدائد تارة والخيرات أخري غافلون، فلا يتضرعون ويتوبون عند نزول البلاء . ولا يشكرون عند الرخاء فأين الإيمان إذن بالله النافع الضار، أي الذي لا ينفع غيره، ولا ينزل البلاء إلا هو سبحانه، غير أن الله لطف بأمة محمد ﷺ فهو لا يعاجلهم بالكوارث المدمرة التي لا تبقي ولا تذر. والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي: ﴿ولو أن أهل القري آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من الساء والأ رض ﴾ (الاعراف: ٩٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

تشير هذه الآية الكريمة إلي قانون من قوانين السماء، وسنة من سنن الله في كونه، ذلكم القانون وتلكم السنة هي الارتباط بين تقوي الناس بطاعتهم لمولاهم باتباع

أوامره واجتناب نواهيه، في أي مكان كانوا وفي أي زمان، وبين فتح بركات من السماء والأرض عليهم يفتحها الله سبحانه لا فاتح لها إلا هو وما علي الناس إلا تقواه.

وبركات السماء لا حصر لها، ولا نستطيع القطع بتحديدها، وبركات الأرض كذلك. فالأرض التي نطعم مما تخرجه لنا من وثمرات مختلفه، وثمرات للثمرات من لحوم وألبان الحيونات التي اغتذت بأعشاب الأرض.

هذه الأرض إذا بورك فيها وأذن الله لها يتضاعف خيرها مرات ومرات كثيرات ولا حرج علي فضل الله.

والعوامل الجوية من شمس وهواء فيها من بركات السماء الكثير الذي لا يحد والذي تضاعفه التقوي، ولكن الذين يخططون للأمم، ويشتغلون بالاقتصاد، يغفلون عند التخطيط عن أثر التقوي في مضاعفة خيرات السماء والأرض ولهذا يفزعون من تكاثر الناس، وقلة المنتج من حاجات الناس.

ولو أنهم أدركوا أثر التقوي في مضاعفة الخيرات لما فزعوا.

وواجب المسلمين وهم أهل القرآن ألا يغفلوا أثر التقوي في مضاعفة الخيرات، فيكون من وسائلهم لزيادة الإنتاج بالدرجة الأولي تقوي الله عز وجل الذي لا تنفد خزائنه، وقد علمنا ديننا استنزال ماء السماء بصلاة الاستسقاء كما علمنا أن تلك السنة سنة ارتباط فتح بركات السماء والأرض بتقوي الله سنة سارية في الوجود، ولقد حدثنا القرآن أن أهل التوراة والإنجيل قبل نسخهما بالقرآن لو اتقوا الله عز وجل بالعمل بما في التوارة والإنجيل قبل نسخهما لفتحت عليهم أيضا بركات السماء والأرض.

قال تعالي ﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ (المائدة:٦٦) والله أعلم.

* * *

تفسير آخر لقوله تعالي﴿ ولو أن أهل القري آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السمآء والأرض ﴾ (الاعراف:٩٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله ﷺ وعلي آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فالمولي عز وجل يحدثنا في هذه الآية والآيتين اللتين قبلها عن قانون من قوانين الله في كونه، يعمل في الناس عمله ويترك فيهم أثره، والجاهلون بسنه الله في كونه عن هذا القانون غافلون، أحوج ما يكونون لفهمه ليتفادوا ما ينزل بهم من بلاء بسبب الغفلة عنه والوقوع في المعاصي.

ذلكم القانون هو ابتلاء الله من يرسل إليهم رسولا برسالة من عنده، فيعرضوا عنها ابتلاءهم بالبأساء والضراء ليرجعوا إلي الله ضارعين، فإذا لم يتنبهوا رفع عنهم الشدائد وابتلاهم بالخيرات لعلهم يرجعون لخالقهم، ويوالي عليهم نعمه حتي يكثروا.

فإذا لم يرجعوا إليه أيضا بذلك. وتبجحوا فعللوا الأشياء بغير أسبابها الحقيقية جهلاً منهم وعناداً.

وقالوا: إنما هو الدهر قلب. وقد نزل بآبائنا من السراء والضراء مثل ما نزل بنا.

آنذاك يباغتهم الله بعقوبته، أي يفاجأهم بها. قال تعالي مشيرا إلي ذلك ﴿**وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون * ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتي عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون**﴾ (الأعراف: ٩٤ :٩٥).

والبأساء ما يصيب الإنسان في بدنه من أمراض. والضراء: ما يصيبه من فقر وحاجة وقوله﴿**حتي عفوا**﴾ أي حتي كثروا.

ثم ذكر المولي عز وجل قانونا آخر من قوانين الله في كونه في قوله ﴿**ولو أن أهل القري آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض**﴾ أي لو أن الناس الذين وصلتهم رسالات السماء آمنوا بالله عز وجل واتقوه، بفعل الطاعات وترك المحرمات، لفتح المولي عز وجل عليهم خزائن رحمته، وجاءتهم بركاته سبحانه من فوقهم ومن تحت أرجلهم، حبا منه تعالي للمتقين وكرما.

وخزائنه لا تنفد قال تعالي ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ﴾ (النحل :٩٦).

وهذا الخير يختلف عن الخير في الآيتين السابقتين، فالخير مع المكذبين امتحان يعقبه هلاك، والخير هنا رحمة وإكرام، وهو موصول غير مقطوع ما اتصلت أسبابه وهي تقوي الله .

وهذان القانونان يعملان في المسلمين عملهما، ويتركان فيهم أثرهما. والجمهرة من المسلمين عن ابتلاء الله لهم بالشدائد تارة والخيرات أخري غافلون، فلا يتضرعون ويتوبون عند نزول البلاء، ولا يشكرون عند الرخاء، غير أن الله سبحانه لطيف بأمة الحبيب ﷺ فهو لا يعاجلهم بالكوارث المدمره التي لا تبقي ولا تذر . والله أعلم .

* * *

تفسير قوله تعالي: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلي الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركة يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون * ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون﴾ (الأعراف: ١٧٥ : ١٧٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

يأمر المولي عز وجل الحبيب المصطفي ﷺ أن يذكر اليهود بقصة عالم من علمائهم. قيل: اسمه. بلعام بن باعوراء، آتاه الله علم بعض كتبه، فلم يرع حق ما علمه الله إياه، ولم يعمل به، بل كفر به ونبذه وراء ظهره.

فعوقب علي ذلك بأن صار الشيطان له قرينا ﴿ ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ﴾ (النساء:٣٨) فصار ذلك العالم من الضالين الكافرين.

وذلك أن قلب الإنسان لا يتسع للإيمان والكفر معاً فإما إيمان وإما كفر وهذا لما انسلخ من آيات الله وأعرض عنها، فقد خرج الإيمان من قلبه والقلب مثل أي وعاء لا يقبل الفراغ، فلما خرج الإيمان من قلبه امتلأ بالكفر ووساوس الشيطان. قال تعالي مشيرا إلي ذلك.

﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها. فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾ ويشير إلي ذلك أيضا قوله ﷺ:

« إن الشيطان ملتقم قلب ابن آدم كما يلتقم الكلب الجيفة، فإذا ذكر الله خنس الشيطان وإذا غفل عن ذكر الله ولغ الشيطان »

ويذكر المولي عز وجل أن ذلك العالم إنما أتي من قبل إخلاده إلي الأرض، أي ميله للدنيا وشهواتها، وإيثاره هوي نفسه ولذائذها المحرمة علي ما عند الله من خيرات وبركات دنيوية أخروية لو حافظ علي ما آتاه الله من آياته، فصار بتفضيله الخسيس من الشهوات المحرمة علي اتباع آيات الله، كالكلب في أخس أحواله وأذلها التي لا يشاركه فيها حيوان آخر وهي دوام اللهث به، سواء حمل عليه أو ترك، فنباحه متصل.

وهكذا جمع الله للعالم الذي كفر بعلمه الذي أتاه الله إياه بين صفتين خسيستين، تشبيهه بالكلب، ولم يقف الأمر عند هذا، بل ضم إلي ذلك تشبيهه بالكلب في أخس أحواله. قال تعالي: ﴿ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي ما تقدم من تشبيههم بالكلب الذي يُديم اللهث، وبعد إذ شبههم الله بذلك فوصفهم بوصفهم اللائق بهم حث رسوله ﷺ علي قص قصَصِهم لعلهم يتفكرون، فيحذروا مثل عاقبته إذا ساروا مثل سيرته فيؤمنون بما أنزل عليك من آيات الله التي تشهد التوراه التي بأيديهم بصدقها وصدقك، ثم يؤكد تعالي قبح صفتهم التي وصفهم بها وما مثلهم به، فيقول: ﴿ ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون﴾ أي ساء مثلا. مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا.

وهو تمثيلهم بالكلاب اللاهثة. التي لاهم لها إلا في تحصيل أكلة أو شهوة قال ابن كثير: فمن خرج عن حيز العلم والهدي واتبع هواه وأقبل علي شهوة نفسه، صار شبيها بالكلب، وبئس المثل مثلهُ. وقد أشار ﷺ إلي قبح ما مثلوا به وهو الكلب في قوله: «ليس لنا مثل السوء العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه».

ثم تُختم الآيات بأبلغ الزجر عن ترك العمل بآيات الله، بالتصريح بأن من فعل ذلك لم يظلم إلا نفسه. قال تعالي: ﴿ وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾

أخي المسلم: هذه الآيات وإن تحدثت عن عالم من علماء اليهود أعرض عما آتاه

الله من آياته، فهي تحذر كذلك كل من يفعل مثل فعله، فكل من عرف آية من آيات الله فهو مؤتمن عليها. ومطالب بالعمل بها، وفي هذه الآيات ما يحذره من إهمالها والإعراض عنها.

وقد يقول بعض السفهاء: إذن لا نتعلم العلم الديني. حتي لا نقع في المؤاخذة بإهمال آيات الله. ،هذا سَفَهٌ ما بعده سفه. إن مثل صاحبه كمن يفقأ عينيه حتي لا يقع في محرم بسببهما، وغاب عنه أن حاجته إلي عينية ملحة، وبإمكانه تفادي الوقوع بهما في محرم.

ذلك مثل المعرض عن تعلم الدين خشية التقصير في العمل به.

إن المعرض عن تعلم الدين قد استعجل البلاء بإعراضة عن آيات الله وعقوبة المعرض عن آيات الله لا أشد منها، لأنه لا جرم أعظم منها قال تعالي: ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ﴾ (الكهف:٥٧).

كما قال تعالي: ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمي * قال رب لم حشرتني أعمي وقد كنت بصيرا * قال كذلك. أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسي ﴾ (طه:١٢٤ ـ ١٢٦).

فاحرص أخي المسلم علي تعلم دينك والعمل به. فتلك رسالتك التي خلقت لها، كما خلق لها الناس جميعا والجن كذلك، وما عملك في دنياك إلا وسيلتك لعبادة مولاك قال تعالي: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (الزاريات :٥٦) تولي الله هُدَايَ وهداك والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي ﴿انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ (التوبة:٤١)

بسم الله الرحمن الرحيم.

إن هذه الآية يدعوا فيها المولي الخالق عباده للنفير العام مع سيدنا رسول الله ﷺ لغزوة تبوك. لقتال الروم الكفرة.

وحتم تعالي فيها علي المؤمنين الخروج علي كل حال في المنشط والمكره والعسر واليسر، شبابا وكهولا وشيوخا، للجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالي.

وقد روي سفيان الثوري عن أبيه عن أبي الضحي مسلم بن صبيح أن هذه الآية أول ما نزل من سورة براءة.

وقد استجاب الصحب رضوان الله عليهم لأمر الله عز وجل فخرجوا مجاهدين في سبيله علي كل حال من عسر ويسر وصحة ومرض. وشباب وشيخوخة .

قرأ أبو طلحة سورة براءة حتي أتي علي هذه الآية ﴿ انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾ فقال: أري ربنا استنفرنا شيوخا وشبانا، جهزوني يا بني فقال بنوه: يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتي مات.

ومع أبي بكر حتي مات. ومع عمر حتي مات. فنحن نغزو عنك. فأبي فركب البحر فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد تسعة أيام. فلم يتغير فدفنوه فيها.

وقد أمر الله المسلمين أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيله ووعدهم خيري الدنيا والآخرة علي ذلك .

قال ﷺ: «تكفل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة. أو يرده إلي منزله بما نال من أجر أو غنيمة» .

وقال تعالي مشيرا إلي عظيم فضل الجهاد في سبيله **﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسي أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسي أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾** (البقرة:٢١٦) .

وقال ﷺ مرغبا في الجهاد «لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد. يعني سوطه خير من الدنيا وما فيها. ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلي أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحا. ولنصيفها علي رأسها خير من الدنيا وما فيها » رواه البخاري ومسلم.

هذا والنفير العام للجهاد الذي يجب علي جميع المسلمين أن يخرجوا فيه في حال العسر واليسر والصحه والرض والشباب والشيخوخة، إنما يجب إذا اعتدي علي أرض الوطن الإسلامي .

فإذا لم يكن هناك اعتداء. بل جهـاد في سبيل الله خارج أرض الوطن الإسلامي فإنه يقبل العذر من أصحاب الأعذار. قال تعالي ﴿ليس علي الضعفاء ولا علي المرضي ولا علي الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله﴾ (التوبه: ٦١) كما أنه لا يلزم خروج جميع القادرين. بل ينبـغي ان يبقي خلف المجاهدين من يعمل في المصالح العامه قال تعالي ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ (التوبه: ١٢٢) . والله أعلـــم.

* * *

سبب تكرر الإيمان والتقوي ثلاث مرات في قوله تعالي ﴿ليس علي الذين آمنوا وعملوا الصـالحات جناح فيـما طعمـوآ إذا ما اتقوا وآمـنوا وعملوا الصالحـات ثم اتقوا وآمنوا ثم أتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين﴾ (التوبة: ٩٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله والصلاة والسلام علي سيـدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه وبعد :

فقد نزلت هذه الآية جواباً عن سؤال حين حرمت الخـمر. فإنه لما حرمت الخمر سأل بعض الصحابة رسول الله ﷺ عن حال من مـات من الصحابة قبل تحريم الخمر. ومنهم من اسـتشهـد والخمـر في بطنه قبل تحـريمها، فنزلت هذه الآية جـواباً عن ذلك السؤال .

روي ابن جرير بسنده عن أنس بن مالك قـال: بينما أدير الكأس علي أبي طلحة وأبي عبيدة بن الجراح وأبي دجانه وسهل بن بيـضاء حتي مالت رءوسهم من خليط بسر وتمر، إذ سمعت منادياً ينـادي ألا إن الخمر قد حرمت. قال: فـما دخل علينا داخل. ولا خرج منا خـارج حتي أهرقنا الشـراب وكسـرنا القلال، وتوضـأ بعضنا. وأغـتسل بعضنا، وأصبنا من طيب أم سليم، ثم خرجنا إلي المسجد. فإذا رسول الله ﷺ يقرأ ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغـضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ (التوبة : ٩٠، ٩١) .

فقال رجل يا رسول الله فما تري فيمن مات وهو يشربها؟ فأنزل الله تعالي قوله ﴿ليس علي الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات.ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين﴾ .

وفيها رفع الله الإثم عن هؤلاء الصحابة الذين ماتوا قبل تحريم الخمر، وذكر قاعدة عامة تشملهم وغيرهم من المسلمين في شأن المطعومات: هي رفع الجناح أي الإثم عن المؤمنين في أي شئ طعموه إذا اتقوا ما حرم عليهم منها وابتعدوا عنه، لأن الأصل في الأشياء الإباحة فإذا حرم الله شيئا ابتعدنا عنه .

وكرر الله الإيمان والتقوي ثلاث مرات. تأكيداً لوجوبهما من جهة، وتأكيداً لإتصاف من مات من الصحابة قبل تحريم الخمر بهاتين الصفتين الإيمان والتقوي، وإشارة إلي أن هؤلاء الصحابة الذين ما توا قبل تحريم الخمر لو عاشوا حتي حرمت لتركوها كغيرهم من الصحابة .. والله أعلم.

* * *

المراد بالصلاة في قوله تعالي ﴿أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ (هود :١٤) . هل هي الصلوات الخمس أم غيرها ؟ وهل الصلاة طريق للتوبة ؟.

بسم الله الرحمن الرحيم

إنك يا أخي تسأل عن التوبة من الذنوب. والتوبة من الذنب قد رسم لنا الشارع طريقها .

وأول خطوه يخطوها التائب في طريق توبتة هي ترك الذنوب التي كان يرتكبها. والخطوة الثانية في طريق التوبة هي الندم الشديد علي ما فرط في جنب الله. والخطوة الثالثة هي رد الحقوق لأصحابها، فمن سرق مالا مثلاً فعليه لكي تقبل توبته أن يرده لصاحبه بأي وسيلة، فإن كان فقيراً لايجد ما يرده أو عجز عن الرد لأي سبب فالمولي يغفر له ويرضي صاحب الحق كذلك عليه أن يقضي ما فاتة من صلوات مفروضه، وتقبل السنه إيضا إذا قضاها، ولكن لا يجب عليه قضاءها، وكذا عليه إخراج ما فاته من زكاة، وصوم مافته من صيام. والخطوة الرابعة هي المواظبة علي

الطاعات، وفي صدر الطاعات المكفرات الصلوات عامة والخمس خاصة. روي الإمام أحمد بسنده عن الحارث مولي عثمان أنه قال: جلس عثمان يوما وجلسنا معه فجاءه المؤذن فدعا عثمان بماء في إناء أظنه سيكون فيه قدر مد فتوضأ ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وضوئي هذا. ثم قال « من توضأ وضوئي هذا ثم قام فصلي صلاة الظهر غفر له ما بينه وبين صلاة الصبح، ثم صلي العصر غفر له ما بينه وبين صلاة الظهر، ثم صلي المغرب غفر له ما بينه وبين صلاة العصر، ثم صلي العشاء غفر له ما بينه وبين صلاة المغرب، ثم لعله يبيت يتمرغ ليلته ثم إن قام فتوضأ وصلي الصبح غفر له ما بينه وبين صلاة العشاء، وهن الحسنات يذهبن السيئات» وفي الصحيح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال «أرأيتم لو أن بباب أحدكم نهرا غمرا يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقي من درنه شيئاً » قالوا: لا يا رسول الله. قال « كذلك الصلوات الخمس يمحوا الله بهن الذنوب والخطايا » وقال ﷺ: «ما من مسلم يذنب ذنبا فيتوضأ ويصلي ركعتين إلا غفر له » رواه الإمام أحمد.

وهكذا نري للصلاة عامة والخمس خاصه أطيب الأثر في غفران الذنوب، غير أن نصوصاً أخري تثبت أن أصناف العبادات لكل منها أثره في محو الذنوب، وأنه لا بد من الشروط المتقدم ذكرها لمحو الذنوب عامة، من هذه النصوص ما رواه مسلم عنه ﷺ أنه قال: « الصلوات الخمس والجمعة إلي الجمعة ورمضان إلي رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر » الطبراني في الأوسط وأبو نعيم.

وهناك ذنوب لا تكفرها العبادات المختلفة، وإنما تكفرها الهموم والبلايا. روي في الحلية عنه ﷺ أنه قال «فمن الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهموم».

وفي لفظ آخر الا الهم في طلب المعيشة. وقال ﷺ :«إذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له أعمال تكفرها أدخل الله تعالي عليه الهموم فتكون كفارة لذنوبة» رواه الإمام أحمد . والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي: ﴿ هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا﴾ (الرعد١٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

يخبرنا تعالي أنه هو الذي يسخر البرق، فيخاف ضررَه أقوام لما يحدث معه من نزول الصواعق المهلكة.

ويرتجي خيره أقوام لما يبشر به من نزول المطر الذي تحيا به البلاد والعباد وهذه الآية تشير إلي كونه تعالي النافع الضار فواجب الكل أن يدعوه رغبا ورهبا. والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي: ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ (إبراهيم: ٣٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

لما بني إبراهيم عليه السلام البيت الحرام، وهو الكعبة المشرفة دعا بهذا الدعاء وفي هذا الدعاء سأل سيدنا إبراهيم ربه أن يجذب قلوب بعض الناس لزيارة هذا البيت ومحبته وتعظيمة وأن يرزق أهل مكة المكرمة، وهم جيران البيت الحرام. من ثمرات الأرض لأن بلادهم لاتنبت ما يعيشون عليه. وقد استجاب الله له دعاءه ليكون ذلك عونا لهم علي الطاعة قال تعالي: ﴿ أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبي إليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ﴾ (القصص: ٥٧)

* * *

تفسير قوله تعالي: ﴿ ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴾(إبراهيم :٤١) لماذا لم يدع سيدنا إبراهيم للمؤمنات أيضا هل كان ساخطا عليهن؟

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يا أخي. فأبو الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أب للمومنين والمؤمنات ولكن

يقتصر عادة علي ذكر الرجال في مواطن الشركة بين الرجال والنساء اختصاراً، للعلم بأن النساء شقائق الرجال .

وقد خطر سؤال قريب من سؤالك هذا لأمنا السيدة أم سلمة روي الأمام أحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن شيبة قال: سمعت أم سلّمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ تقول: قلت للنبي ﷺ: مَا لنَا لانذْكرُ في القرآن كما يذكر الرجال.؟ قالت: فلم يرعني منه ذات يوم إلا ونداء علي المنبر. قالت: وأنا أسرح شعري، فلففت شعري ثم خرجت إلي حجرة بيتي، فجعلت سمعي عند الجريد فإذا هو يقول عند المنبر: « يا أيها الناس إن الله تعالي يقول: ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ﴾ إلي آخر الآية (الاحزاب: ٣٥) .

وفي ذكره تعالي للمؤمنات في هذه الآية الكريمة وتكرار ذكر النساء مع الرجال تأكيد لأن النساء شقائق الرجال، وما ترك ذكرهن فيما سبق من آيات إهمالاً لهن. وإنما ترك للاختصار فقط.

وفي ذكرهن هنا بجانب ما سبق أيضا تطييب لخاطرهن بعد إذ شعرن بذلك الشعور والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي: ﴿ وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ﴾ (الحجر: ٤٣، ٤٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن ولاه.

وبعـــد.

فهذه الآيات الكريمة مرتبطة بالآيات المذكورة قبلها.

وما قبلها حديث عن توعد الشيطان لبني الإنسان، بعد أن طلب من الله عز وجل النظرة أن يمهله إلي يوم البعث، ولكن الله عز وجل أمهله فقط إلي يوم الصعقة الثانية، صعقة الإماتة بعد الصعقة الأولي صعقة الفزع، ليذوق هو وذريته الموت الذي كتبه الله سبحانه علي كل مخلوق.

وهنا توعد اللعين كل بني آدم بالأغواء والإضلال، وكذلك توعد الجن بالإغواء والإضلال كما في سورة الناس. قال تعالي مشيرا إلي ذلك: ﴿ **الذي يوسوس في صدور الناس * من الجنة والناس** ﴾ (الناس:٥،٦) قال ابن كثير في تفسيره مشيرا إلي ذلك: هل يختص لفظ الناس ببني آدم كما هو الظاهر، أو يعم بني آدم والجن، ويكون الجن قد دخلوا في لفظ الناس تغليباً. فالشيطان يوسوس لهم كما يوسوس لنا. وقد رجح تفسير ابن كثير أن الجن من أمة التكليف، وأنهم مكلفون مثل الإنس بالإسلام، والشيطان وذريته يوسوس لهم بالشر كما يوسوس لبني الإنسان.

أقول توعد إبليس بني الإنسان والجان كذلك بالاضلال عن طريق الوسوسة إلا عباد الله المخلصين، وهم من عصمهم الله من الأنبياء، وكمل الأولياء، فقد عصم الأنبياء بالعصمة والأولياء بالحفظ.

وهنا توعد عز وجل من اتبع الشيطان وذريته بعذاب النار، وأخبر سبحانه أن لجهنم سبعة أبواب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه لا محيد لهم عنه. وكل يدخل من باب بحسب عمله. عن الإمام علي رضي الله عنه قال: إبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض، فيمتلئ الأول ثم الثاني ثم الثالث حتي تمتلئ كلها.

وعن الضحاك قال: باب لليهود، وباب للنصاري، وباب للصابئين، وباب للمجوس، وباب للذين أشركوا، وباب للمنافقين، وباب للعصاة المسلمين.

ولا يخرج أحد من هؤلاء من النار بعد الدخول فيها إلا عصاة المسلمين فإنهم يخرجون منها إن شاء الله تعالي، بعد أن يستوفي كل منهم نصيبه من العذاب الذي يستحقه. قال تعالي مشيرا إلي ذلك: ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا** ﴾ (النساء:١١٦) وقال سبحانه ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افتري إثما عظيما**﴾ (النساء:٤٨) والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي﴿**وأوحي ربك إلي النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعر شون * ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من**

بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ﴾ (النحل: ٦٨، ٦٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

المراد بالوحي هنا الإلهام. فالمولي عز وجل ألهم النحل باتخاذ الجبال بيوتا وكذلك الشجر وما يعرشه الإنسان، كما ألهمها السعي لطلب الطعام من كل الثمرات، ويسر لها الذهاب والرواح، فلا تضل طريقها إلي طعامها ولا إلي بيتها يشير إلي ذلك قوله تعالي ﴿ فاسلكي سبل ربك ذللا ﴾ وقد سخرها المولي عز وجل هذا التسخير لتخرج للإنسان عسلها الذي يجمع بين كونه غذاء وشفاء. ومن لطف المولي بنا أن يجمع لنا بين طيب المخبر والمظهر، فالعسل في مخبره غذاء وشفاء، وقد جمع مظهره ألواناً جميلة فهو يتلون بلون الزهور التي يأكلها النحل، فطاب العسل مظهرا ومخبراً .

روي البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلا جاء إلي رسول الله ﷺ . فقال إن أخي استطلق بطنه. فقال: « اسقه عسلا » فذهب فسقاه عسلا. ثم جاء فقال يا رسول الله سقيته عسلا فما زاده إلا استطلاقا. قال: « اذهب فاسقه عسلا ». فذهب فسقاه عسلا. ثم جاء فقال يا رسول مازاده إلا استطلاقا. فقال رسول الله ﷺ : « صدق الله وكذب بطن أخيك . اذهب فاسقه عسلا» فذهب فسقاه عسلا. فبرئ . صدق رسول الله عليه وسلم .

ويبدو أن هذا الرجل كان محتاجا لكمية كبيرة من العسل لتبرأ علته.

وكان يتناول قدرا قليلا. فلما أخذ حاجته من العسل برئت علته.

هذا. ويقول ﷺ في العسل: «عليكم بالشفاءين العسل والقرآن .

هذا وقد روي ابن كثير عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه أنه قال: إذا أراد أحدكم الشفاء. فليكتب آية من كتاب الله في صحيفة وليغسلها بماء السماء، وليأخذ من امرأته درهما عن طيب نفس منها .

فليشتر به عسلا. فليشربه كذلك.. فإنه شفاء.

وقد أخذ الإمام ذلك من آيات كريمات. قال تعالي ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ (الإسراء: ٨٢) وقال ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا ﴾ (ق:٩)

وقال تعالي ﴿فإن طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا﴾ (النساء:٤) وقال في العسل ﴿فيه شفاء للناس﴾ (النحل:٦٩) .

هذا دواء رباني مركب من عناصر أربعة. لكل منها خاصيته فالقرآن والعسل شفاءان. وماء السماء مبارك. وما تتنازل عنه المرأة لزوجها من صداقها عن طيب نفس هنئ مرئ .

والله أعلـــم

* * *

تفسير قوله تعالي: ﴿ والله فضل بعضكم علي بعض في الرزق فما الذين فضلوا برآدي رزقهم علي ما ملكت أيمانهم فهم فيه سوآء افبنعمة الله يجحدون ﴾ (النحل: ٧١)

بسم الله الرحمن الرحيم

بين تعالي بهذه الآية للمشركين جهلهم وكفرهم فيما زعموه لله من الشركاء، وهم يعرفون أن هؤلاء الشركاء عبيد له سبحانه وتعالي، فقد كانوا يصرحون بذلك في تلبيتهم في حجهم في الجاهلية.

حيث كانوا يقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك. تملكه وما ملك فإذا كانوا يعرفون ذلك، وهم لا يرضون لأنفسهم أن يساووا عبيدهم فيما رزقهم الله، فكيف يرضون لله تعالي مساواة عبيده به في الألوهيه فيشركونهم معه.

إنهم بشركهم هذا قد جحدوا نعمة الله عليهم، حيث شكروا غير المنعم عليهم مما يعبدونه مع الله من شركاء يشركونها معه. والله أعلم

* * *

قال المولي عز وجل: ﴿سبحان الذي أسري بعبده ليلا من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصي ﴾ لم (الاسراء :١) اذا قال: بعبده. ولم يقل سبحان الذي أسري برسوله؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه

وبعد:

إن العبودية الكاملة لله عز وجل هي أشرف صفات العبد يقول أحد الصالحين لا تدعني إلا بياعبدها فإنه أشرف أسمائي.

والمسلم يجاهد حياته كلها ليصل إلي مرتبة العبودية الكاملة لله تعالي، وهي العبودية التي ليست فيها شائبة الربوبيه، وهي التي يكون معها الاعتقاد الكامل في وجود الله ووحدانيته وكمال علمه وقدرته، واتصافه سبحانه بكل كمال وتنزهه عن كل نقص. والكثير من الناس مشرك بالله، أشرك في عبادته لله عبادة نفسه وهواه، وهو عن ذلك غافل ساهٍ ينسب الأشياء لقدرته وعلمه وإرادته، ويجهل أنه لا إرادة في الوجود تزاحم إرادة المولي عز وجل، فلا يقع في ملك ربي إلا ما يريده قال تعالي: ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ (الإنسان: ٣٠) كما أنه لا توجد في الوجود قدرة تزاحم قدرة المولي سبحانه وتعالي فهو الخالق للموجودات جميعها. قال تعالي: ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ (الصافات: ٩٦) وعلمه تعالي كامل لا يسبقه جهل ولا يلحقه عدم ولا يحده حد، وعلم العبيد بالجهل مسبوق وبالجهل محدود، فهو قليل من كثير. قال تعالي: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ (الإسراء: ٨٥) فصحح يا أخي عبوديتك، وتخلص من دعوي الربوبيه في حركاتك وسكناتك تعزّ بالله وتشرف بالنسبة إليه، كما شرف بذلك نبيك ﷺ. والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي ﴿ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا ﴾ (الإسراء: ١١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

فإن الإنسان إذا غضب يدعو الله بالشر علي نفسه وأهله وماله وولده، أو يطلب النفع العاجل وإن قل بالضرر الآجل وإن جل. وذلك لأن الإنسان عجول يتسرع إلي طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله، ولا يتأني فيه تأني المتبصر.

فلو استجاب له ربه لهلك بدعائه علي نفسه، ولهلك ماله وأهله وولده عند دعائه عليهم. قال تعالي مشيرا إلي ذلك: ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم﴾ (يونس: ١١).

ولكنه تعالي لحلمه ولطفه بعباده لا يستجيب لهم إذا دعوا علي أنفسهم أو أولادهم أو أموالهم بالشر في حال ضجرهم وغضبهم، لأنه يعلم منهم عدم القصد إلي إرادة ذلك .

ولكن ينبغي الحذر من ذلك فقد روي البزار في مسنده بسنده عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا علي أنفسكم ولا تدعوا علي أولادكم ولا تدعوا علي أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة فيها إجابة فيستجيب لكم »

وقد ذكر القرآن من أمثلة دعاء الإنسان علي نفسه بالشر قول النضر بن الحارث ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ (الأنفال: ٣٢). قال ابن عباس رضي الله عنهما فأجيب. فضربت عنقه صبحا .

ولم يجب إلي عموم دعائه بإهلاك جميع الكفار الذين طلب أن يمطروا بحجارة من السماء أو يأتيهم عذاب أليم. لقول الله عز وجل في الآية التي تليها ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهو يستغفرون﴾ (الأنفال: ٣٣) روي الترمزي بسنده عن أبي بردة بن أبي موسي عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «أنزل الله علي أمانين لأمتي ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ فإذا مضيت تركت فيهم الأستغفار إلي يوم القيامة » .

وروي الإمام أحمد بسنده عن فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ أنه قال: « العبد آمن من عذاب الله ما استغفر الله عز وجل ». والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي ﴿وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾ (الإسراء: ٥٨) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فتشير هذه الآية إلي سنة من سنن الله في كونه، وتلك السنة هي أنه تعالي قدر أزلا وكتب ذلك في اللوح المحفوظ أنه ما من قرية إلا سيهلكها بإبادة أهلها جميعهم، أويعذبهم عذابا شديدا، إما بقتل أو ابتلاء بما يشاء. وإنما يكون ذلك بسبب ذنوبهم، وكثرة الخبث فيهم، وعدم وجود من يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر بينهم. لقوله تعالي ﴿وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبه أمرها خسرا﴾ (الطلاق:٨)

* * *

تفسير قوله تعالي ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن﴾ (الإسراء: ٦٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

المراد بالرؤيا في هذه الآية الكريمة رؤيا عين يقظة، وهو ما رآه ﷺ ليلة الإسراء والمعراج من آيات ربه الكبري، عندما أسري به إلي بيت المقدس ثم عرج به إلي السموات العلا، يقظة بجسمه وروحه.

والشجرة الملعونة في القرآن هي شجرة الزقوم قال ابن عباس: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به، والشجرة الملعونه هي شجرة الزقوم. رواه البخاري.

وإنما كانت شجرة الزقوم ومارآه الرسول ﷺ ليلة الإسراء والمعراج فتنة للناس، أي امتحان واختبار، لأن ما فيهما هو من الأمور الغيبية التي لا سبيل لمعرفتها إلا عن طريق الوحي فمن قوي إيمانه صدق بها، وغير المؤمن لا يصدق بها، وضعيف الإيمان يتزلزل إيمانه عند سماعها.

وهذا ما حدث تماما، فلقد ارتد أناس عقب الإسراء والمعراج لما حدثهم به ﷺ. لأن عقولهم لم تتحمله، ولما أخبرهم أنه رأي الجنة والنار ورأي شجرة الزقوم ليلة إسرائه كذب المشركون ذلك، واتخذوه ماده لسخريتهم. حتي قال أبو جهل لعنه الله: ما

نعرف الزقوم إلا أكل التمر بالزبد، كما عجبوا من كون شجرة الزقوم تنبت في قاع جهنم. قال تعالي: ﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم * طلعها كأنه رءوس الشياطين﴾ (الصافات: ٦٤، ٦٥) فقالوا إن النار تحرق الشجر. فكيف تنبت الشجر، وغابت عنهم أن قدرة الله لا يعجزها ذلك والله أعلم.

قصه أهل الكهف كما جاءت في القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

فأهل الكهف كما ورد في القرآن فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدي، وكانوا يعيشون قبل المسيحية، بدليل أن قريشا لما بعثوا إلي أحبار اليهود بالمدينة يطلبون منهم أشياء يمتحنون بها رسول الله ﷺ، بعث إليهم اليهود أن يسألوه عن خبر أهل الكهف وعن خبر ذي القرنين وعن الروح. فدل هذا علي أن خبر أهل الكهف كان معلوما ومحفوظا في كتب أهل الكتاب من اليهود، وأنه متقدم علي دين النصرانية.

وكان هؤلاء الفتية من أبناء ملوك الروم وسادتهم، وقد تركوا ما عليه قومهم من عبادة الأصنام، وعبدوا الله الواحد الأحد. ولما بلغ أمرهم ملكهم، سألهم عما يعبدون فلم يفزعوا، وإنما ثبتهم الله تعالي، وملأ قلوبهم أمنا وإيمانا قال تعالي: ﴿وربطنا علي قلوبهم﴾ أي ثبتناهم عندما وقفوا أمام ملكهم ليسألهم عن معبودهم وجهروا قائلين ﴿ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا * هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افتري علي الله كذبا﴾ (الكهف: ١٤: ١٥) وقد دعوا ملكهم إلي الإيمان بالله الواحد الأحد. قال ابن كثير: فيقال إن ملكهم لما دعوه إلي الإيمان بالله أبي عليهم وتهددهم، وأمر بنزع لباسهم عنهم الذي كان عليهم من زينة قومهم باعتبارهم من أبناء الملوك وأجلهم لينظروا في أمرهم لعلهم يرجعون عن دينهم هذا.

وكان هذا من لطف الله بهم، فقد هيأ لهم فرصة الهرب والفرار بدينهم. وهذا مشروع عند وقوع الفتن. قال ﷺ: « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها

شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن».

وهكذا فر الفتية المؤمنين بدينهم وآووا إلي كهف بالجبل، وكان الكهف بحيث لا تتمكن منه الشمس فتحرقهم. وتولي المولي عز وجل أمرهم وهم نيام، فلم يكلهم إلي أنفسهم قال تعالي :﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ (الكهف:١٨) وكان معهم كلب شاركهم رحلتهم فنام بفناء الكهف وألقي الله عليهم المهابة وهم نيام ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا﴾ (الكهف:١٨) ولما استيقظوا بعد ثلثمائه سنة وتسع، ولم يدر بخلدهم أنهم ناموا هذه المدة الطويلة، وظنوا أنهم ناموا فقط يوما أو بعض يوم، فقد دخلوا الكهف أول النهار ولما استيقظوا كانوا آخر النهار، غير أنهم كانوا جياعا فبعثوا أحدهم ليشتري لهم طعاماً، فرأي البلد قد تغيرت معالمه، وعجب أهلها منه، ولما علموا بقصتهم وكان أهل البلد قد آمنوا بالله الواحد الأحد. وبعد أن شاع أمر أهل الكهف وذاع وظهرت قدرة الله وحكمته في إبقاءهم أحياء هذه المده لم تعد هناك حاجه لبقائهم أحياء بعد ذلك، فقبض الله أرواحهم. واختلف أهل البلد في أمرهم﴿قال الذين غلبوا علي أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا﴾ (الكهف:٢١) صدق الله العظيم . والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ (الكهف:٤٦) مع شرح قوله سبحانه ﴿أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ (الأنفال:٢٨) والتوفيق بينهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

ليس هناك إشكال في التوفيق بين الآيتين. فأما قوله تعالي ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ فهذا واقع واضح والناس يتسابقون في هذا، ويتفاخرون بهذا، ويسعدون في دنياهم بهذا. وأما الآية الثانية التي تصف المال والبنين بالفتنة فتتكلم عنهما من ناحية أخري. فهما في يدي الناس زينة.

ولكن المولي عز وجل يهبهما لمن يشاء من عباده فتنة له، أي اختبارا له. أيشكر أم يكفر ؟. والمولي عز وجل يمتحن عباده بالشر والخير. قال تعالي ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ (الإنبياء:٣٥). والامتحان بالمال والبنين من باب الأمتحان بالخير .

وشكره بألا يشغلانه عن الله وأوامره، فلا يشغله ماله عن ربه، ولا يشغله ولده كذلك عنه .

قال تعالي ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ (المنافقون: ٩) .

هذا وكثير من التقصير في حق الله يقع بسبب المال والبنين، كما أن الكثير من المعاصي يقع بسبب المال والبنين .

قال تعالي ﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم﴾ (التغابن: ١٤) قال مجاهد يحمل أحدهما الرجل علي قطيعة الرحم أو معصية ربه، فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه، فمن أطاع الله فيهما وشكره عليهما، فجمع المال من حله، وأنفقه في مصارفة المشروعة، وربي أولاده تربية صالحة وعرفهم حق الله عليهم، فقد شكر الله علي هاتين النعمتين ونجح في الامتحان ومن جمع المال من حرام، وانفقه في الحرام، وتعالي به علي عباد الله وافتخر ببنيه، وغفل عن تربيتهم تربية إسلامية فنشأوا لا يعرفون لله حقاً ولا يؤدون له فرضاً، فقد كفر بنعمة الله عليه، وسقط في الامتحان.

أعاذنا الله من ذلك، وأعاننا علي ذكره وشكره وحسن عبادته. والله أعلم .

* * *

تفسير قوله تعالي: ﴿وإذ قال موسي لفتاه لا أبرح حتي أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا﴾ (الكهف: ٦٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الآيات الكريمات تحدثنا عن أمور عجيبة. فكليم الله موسي عليه وعلي نبينا الصلاة والسلام يسأل عن أعلم الناس فيقول: أنا فيعتب الله عليه إذ لم يرُدَّ العلم إليه ويوحي إليه. إن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك. وقد اختلف في مجمع البحرين هذا. فقيل: بحر فارس والروم، وقيل ملتقي البحر الأبيض المتوسط بالمحيط الأطلسي فرغب سيدنا موسي عليه السلام في لقاء هذا الرجل. وهو الخضر عليه السلام، واشتد شوقه إلي لقائه، فقال: يارب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتا في مكتل. فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ. فأخذ حوتا في مكتل. وانطلق ومعه فتاه يوشع

بن نون.

وقال لفتاه: لا أبرح سائرا حتي أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا أي أسير زمانا طويلا ـ أتيقن معه فوات المطلب. وذلك لشدة حرص سيدنا موسي علي لقاء الخضر.

وقال لفتاه أيضا إذا فقدتُ الحوتَ فأخبرني.

فلما بلغا مجمع البحرين وضعا رءوسهما فناما عند صخرة هناك. واضطرب الحوت في المكتل. فخرج منه فسقط في البحر، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فاتخذ سبيله في البحر سربا، أي صار للحوت طريق في البحر كالسَّرَب. وهو النفق. قال ابن عباس: جعل الحوت لا يمس شيئا من البحر الا تيبسَ. واستيقظ آنذاك يوشع فتي موسي عليه السلام. فرأي الحوت وعجيب أمره. حيث صار للحوت خلفه نفق في البحر. فلما استيقظ موسي عليه السلام من نومه نسي يوشع أن يخبره بأمر الحوت. كما اشترط عليه سيدنا موسي أول الرحلة.

فانطلقا بقية يومهما وليلتهما. حتي إذا كان من الغد. قال موسي لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا. ولم يجد موسي النصب حتي جاوزا المكان الذي أمره الله به. فقال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلي الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيهُ إلا الشيطان، وحدثه عن عجيب أمر الحوت حيث اتخذ له طريقا عجيبا في الماء. بحيث يترك نفقا في الماء خلفه أني سار فلا يلتئم الماء من خلفه. بل يبقي مجوفا فيه ما يشبه النفق.

قال موسي: ذلك ماكنا نبغ. مشيرا إلي فقدان الحوت. فارتدا يتتبعان آثارهما ليصلا إلي المكان الذي فقدا فيه الحوت، حيث يوجد عنده الخضر كما قدمنا. فلما وصلا إلي الصخرة التي فقدا عندها الحوت وجدا الخضر مُسَجّي بثوبه. فسلم عليه موسي فقال الخضر: وأني بأرضك السلام. قال أنا موسي: قال: موسي بني إسرائيل قال نعم أتيتك لتعلمني مما عُلّمت رشدا. قال: إنك لن تستطيع معي صبرا. يا موسي إني علي علم من علم الله علمنّيه لا تعلمه أنت.

وأنت علي علم من علم الله علمك الله لا أعلمه أنا. قال موسي: ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا.

هذا وقصة موسي والخضر عليهما السلام طويلة وشيقة. وفيها علم غزير وماكتبته فيها قليل من كثير مما ذكره البخاري فيها عن رسول الله ﷺ في صحيحه بل ما كتبته لا يزيد عن كونه مقدمة لها.

وأرجو الله أن يتيح لي العود إليها لإتمامها. واستنباط العظات والعبر منها. وربطها بحياة الناس. وما يلقون فيها من بلاء يضيقون به. ولو علموا الغيب لرضوا بما قدره الله فيهم ولهم والله الموفق والهادي إلي سواء السبيل.

* * *

تفسير قوله تعالي: ﴿فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سَرِيا﴾ (مريم: ٢٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذه الآيه قراءتان. بعضهم قرأ (مَنْ تحتها) وعليه فالمعني ناداها الذي تحتها وقرأ البعض الآخر (مِنْ تحتها) واختلف السادة المفسرون في المراد بذلك؛ فقال بعضهم: المنادي هو جبريل عليه السلام، ناداها من أسفل الوادي.

وقال البعض الآخر: المنادي هو عيسي عليه السلام. والسَّرِيّ: هو جدول الماء أي نهر صغير. وقد أخرجه الله لها بطريق خرق العادة لتشرب منه.

والراجح أن المنادي جبريل طمأنها بذلك. وأرشدها إلي ما تصنع إذا لقيت قومها. وهي تحمل وليدها.

والله أعلم.

* * *

قوله تعالي ﴿ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلي الأرض التي باركنا فيها. وكنا بكل شئ عالمين﴾ (الأنبياء: ٨١).

بسم الله الرحمن الرحيم

يحدثنا المولي عز وجل عن عجيب إنعامه علي رسله عليهم الصلاة والسلام بخوارق العادات. تذكيرا لنا بعظيم قدرته.

ويذكر هنا من هذه الخوارق للعادات التي تسمي في الشرع الإسلامي بالمعجزة إذا ظهرت علي يدي نبي، وبالكرامة إذا ظهرت علي يدي ولي.

يذكر هنا من هذه الخوارق تسخير الريح لسليمان عليه وعلي نبينا الصلاة والسلام فالريح العاصفة من أخطر المخلوقات، ويسخرها الله لإهلاك من يشاء من عباده، ولكن المولي عز وجل سخرها لنبيه سليمان عليه السلام.

فمعني الآية. سخرنا لسليمان الريح عاصفة فكانت تحمل بساطاً له.

يضع عليه متاعه. ويسير به إلي الأرض المباركة. وهي أرض الشام وكذلك تسير به أني شاء وحيث أراد قال تعالي: ﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب﴾ (ص:٣٦) كما قال تعالي ﴿غدوها شهر ورواحها شهر﴾ (سبأ:١٢).

وقد ختمت الآية بما يؤكد شمول العلم. فقال تعالي ﴿وكنا بكل شئ عالمين﴾ (الأنبياء:٨١) فجمعت بين التذكير ببالغ القدرة وشمول العلم. والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادي في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين * فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾ (الأنبياء:٨٧،٨٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

فهذه الآيات تحدثنا عن طرف من قصة سيدنا يونس عليه وعلي نبينا الصلاة والسلام. فقد بعث المولي عز وجل سيدنا يونس رسولا إلي أهل قرية تسمي نينوي. وهي قرية من أرض الموصل فدعاهم إلي الله عز وجل، فأبوا عليه وتمادوا في كفرهم وعصيانهم، فغضب منهم. ووعدهم العذاب بعد ثلاث.

وخرج من بينهم. وما كان له عليه السلام أن يخرج من بينهم إلا أن يأذن الله له في الخروج، ولكنه لما ضاق بكفرهم خرج بدون أن يؤذن له في الخروج.

ظانا أن المولي عز وجل لا يؤاخذه علي ذلك .

ولكن حسنات الأبرار سيئات المقربين. وهو هنا قد اجتهد فأخطأ وحاسبه الله علي ذلك اجتهد فظن أن المولي عز وجل لن يقدر عليه، أي لن يضيق عليه أي لن يؤاخذه علي الخروج بدون إذن، ولكن المولي عز وجل أخلف ظنه وعاقبه علي ذلك بعقاب غريب انفرد به يونس عليه وعلي نبينا الصلاة والسلام، ولا ينزل ذلك العقاب بمرتبته، فهو نبي مرسل معصوم، ولكنه قضاء الله يجريه علي من يشاء من عباده، ولذا قال نبينا ﷺ: لا تفضلوني علي يونس بن متي » خشية أن يظن ظان أن خطأ سيدنا يونس في اجتهاده ينزل به عن مرتبة النبوة.

ولكن المولي عز وجل حاسبه وأنزل به قضاءه، ولم يحاسب نبينا ﷺ حين اجتهد في أخذ الفداء من أسري بدر، وعاتبه الله علي ذلك بقوله تعالي ﴿ **ما كان لنبي أن يكون له أسري حتي يثخن في الأرض** ﴾ هذا ولما خرج يونس غاضبا من قومه وعلموا أن النبي لا يكذب ، خافوا نزول العذاب بهم وآمنوا بالله رب العالمين، ثم خرجوا إلي الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم، وفرقوا بين الأمهات واولادها، ثم تضرعوا إلي الله عز وجل وجأروا إليه، ورغت الإبل وفصلانها، وخارت البقر و أولادها .

لما آمنوا وتذللوا وسألوا الله رفع العذاب، فرفع تعالي عنهم.

قال تعالي ﴿ **فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلي حين** ﴾ (يونس:٩٨) هذا ما كان من شأن قوم يونس لما آمنوا وتضرعوا رفع الله عنهم العذاب أما سيدنا يونس فإنه لما خرج غاضبا منهم لكفرهم، فإنه ذهب إلي ساحل البحر فوجد سفينة متأهبة للإبحار فركبها، فأشرفت السفينة في لجة البحر علي الغرق فطلبوا تخفيف حمولتها بإلقاء بعض الركاب في البحر، فاقترعوا علي رجل يلقونه في البحر، فوقعت القرعة مرارا علي سيدنا يونس عليه السلام. قال تعالي مشيرا إلي ذلك ﴿ **فساهم فكان من المدحضين** ﴾ (الصافات:١٤١) أي وقعت عليه القرعة، فألقوه في البحر فالتقمه حوت عظيم. والنون: هو الحوت وذا النون أي صاحب الحوت. وهو يونس عليه السلام.

وبعد أن التقمة الحوت أدرك أنه أوخذ علي مغادرته قومه دون أن يأذن الله له في ذلك، فلجأ إلي الدعاء. معترفاً بما كان منه سائلاً المولي عز وجل لطفه وتفريج كربه

قائلاً: ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ وهنا يدهش العقل ويحار الفكر أن يتخذ المولي القادر من بطن الحوت سجنا لعبده يونس، يسجنه ويحفه بلطفه، فلا تهضمه معدة الحوت، وإنما يسخر الحوت لحفظه من الغرق، وهكذا الطف الله بصالحي المؤمنين، يجعل لهم من المهالك أسباباً للنجاة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت أوحي الله إلي الحوت أن خذه ولا تخدش له لحماً ولا تكسر له عظماً، فلما انتهي به إلي أسفل البحر سمع يونس حسا. فقال في نفسه ما هذا؟ فأوحي الله إليه وهو في بطن الحوت إن هذا تسبيح دواب البحر. قال: وسبح وهو في بطن الحوت. فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا إنا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة. قال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح. قال: نعم. قال فشفعوا له عند ذلك فأمر الله تعالي الحوت فقذفه في بالساحل كما قال الله تعالي: ﴿وهو سقيم ﴾ رواه ابن جرير والبزار في مسنده.

ودعوة سيدنا يونس وهو في بطن الحوت. وهوقوله: ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ لم يدع بها مسلم في شئ قط إلا استجيب له. قال ﷺ « دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لم يدع بها مسلم ربه في شئ قط إلا استجاب له» رواه الترمذي والنسائي. فالهج أخي. بلا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين بين يدي المولي يجب حاجاتك عز وجل. والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي ﴿ وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين﴾ (المؤمنون: ٢٠) .

بسم الله الرحمن الرحيم

يمتن المولي عز وجل في هذه الآية علي عباده بشجرة الزيتون. مشيرا إلي ما أودعه فيها من منافع، فهي تعطينا زيت الزيتون، وأنعم به من زيت. روي الإمام أحمد

بسنده عن رسول الله ﷺ قوله «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة كما أن الزيتون صبغ، أي أدم للناس .

وطور سيناء: هو طور سينين الجبل الذي كلم الله عليه موسي عليه وعلي نبينا الصلاة والسلام، وهو معروف في شبه جزيرة سيناء . والله أعلم .

* * *

تفسير قوله تعالي ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائه جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين * الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك علي المؤمنين ﴾ (النور: ٢، ٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

فقد بدأ سبحانه بذكر الزانية لأن تأثيرها في وقوع جريمة الزنا أشد غالبا بسفورها وفجورها، وبدأ بذكر الزاني في النكاح، لأن الرجل أصل فيه لأنه الخاطب، ومنه يبدأ الطلب.

وقد ذكر تعالي في هذه الآيات حكم الزاني غير المحصن، وهو جلد مائة، وتغريب عام عن بلده .

وأما الزاني المحصن وهو من سبق له الوطء في نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل، فإنه يرجم حتي الموت بالحجارة. ففي الصحيحين عن أبي هريرة في الأعرابيين الذين أتيا رسول الله ﷺ فقال أحدهما يا رسول الله: إن ابني هذا كان عسيفا - يعني أجيرا - علي هذا فزني بامرأته، فافتديت ابني منه بمائة شاه ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني أن علي ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن علي امرأة هذا الرجم .

فقال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله تعالي، الوليدة والغنم رد عليك، وعلي ابنك مائة جلدة وتغريب عام، وأغد يا أنيس - لرجل من أسلم - إلي امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها «فغدا عليها فاعترفت فرجمها.

وفي الصحيحين أن عمر رضي الله عنه حمد الله وأثني عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس: فإن الله تعالي بعث محمدا ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم، فقرأناها ووعيناها، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشي أن يطول بالناس زمان أن يقول قائل: لا نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة قد أنزلها الله، فالرجم في كتاب الله حق علي من زني إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة أو الحبل أو الاعتراف.

وقد نهي عز وجل وهو الرحمن الرحيم المؤمنين عن التقصير في إقامة حدود الله رحمة بالعصاة ففي إقامتها رحمة بالمجتمع كله.

ومعني قوله تعالي ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية﴾ الآية أن الزاني الخبيث الذي من شأنه الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء، والزانية كذلك لا ترغب في نكاح الصالح من الرجال، فهو تعالي يحدثنا عن نفسية كل من الزناة والزواني. وفي الآية تزهيد في نكاح الزواني ومن هاهنا ذهب الإمام أحمد إلي أنه لا يصح العقد من الرجل العفيف علي المرأة البغي مادامت كذلك حتي تستتاب، فإن تابت صح العقد عليها وإلا فلا. وكذلك لا يصح تزويج المرأة العفيفة بالرجل الزاني حتي يتوب توبة صحيحة. والله أعلم.

* * *

قوله تعالي: ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرأون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم﴾ (النور: ٢٦)

ما تفسير هذه الآية؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

فإن هذه الآية الكريمة لها صلة بحادثة الإفك. وحادثة الإفك هي رمي المنافقين لأمنا السيدة عائشة رضي الله عنها بمارموها به زورا وبهتانا، وقد أنزل الله عز وجل براءتها مما رموها به في الآيات السابقة، وختم الحديث عن حادث الإفك ببيان عدل الله

فيما ركبه في الفطرة، وحققه في واقع الناس، وهو أن تميل النفس الخبيثة إلي النفس الخبيثه، ،وتمتزج النفس الطيبة، بالنفس الطيبه وعلي هذا تقوم العلاقات بين الأزواج فالخبيثات من النساء للخبثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء وبالتالي فما كان الله عز وجل ليجعل عائشة زوجة لرسول الله ﷺ إلا وهي طيبة لأنه أطيب من كل طيب من البشر.

ولو كانت خبيثة لما صلحت له لا شرعا ولا قدرا. ولهذا قال تعالي مشير إلي ذلك ﴿ أولئك مبرأون مما يقولون ﴾ أي هم بعداء عما يقوله أهل الإفك والعدوان والمشار إليه هنا هو أمنا السيدة عائشة رضي الله عنها. كما قال تعالي: ﴿ لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ فلها بسبب ما رميت به ظلما مغفرة ورزق كريم هو ما عند الله في جنات النعيم.

قال السادة المفسرون: وفي ذلك وعدلها رضي الله عنها بأن تكون زوجة لرسول الله ﷺ في الجنة.

هذا وتحتمل الآية معني آخر لا يتعارض مع المعني السابق، بل الآية تحتملهما معا. قاله ابن عباس رضي الله عنهما: وهو الخبيثات من القول للخبثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول، والطيبات من القول للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من القول. قال: ونزلت هذه الآية في عائشة وأهل الإفك ـ أي من رماها بالكذب بما رماها به. قال ابن كثير: ومعني ذلك أن الكلام القبيح أولي بأهل القبح من الناس. والكلام الطيب أولي بالطيبين من الناس.

فما نسبه أهل الإفك إلي أمنا السيدة عائشة هم أولي به. وهي أولي بالبراءة والنزاهة.

أقول: وفي هذا القول من ابن عباس ومن شاركه فيه من أئمة التفسير كمجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصري وغيرهم أقول في هذا القول إشارة إلي المثل القائل: كل إناء بما فيه ينضح فالخبيث من الناس يتهم الأبرياء بما يجده في نفسه من قبح ورذائل. والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي: ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ (النور: ٣٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

الله سبحانه وتعالي خالق الخلق، ومالك الملك، والمخلوقات في حاجة إلي المولي عز وجل في خلقها، وفي دوام وجودها، واستمرار بقائها. والعاقل منها في حاجة إلي هداه سبحانه. ولذا أمد المولي عز وجل أهل السموات والأرض بهداه، وعبر عن هذا الهدي بالنور، لأنه يبين لأصحابها الصراط المستقيم فيسلكوه، كما يُبيّن الضوء للسائرين في الظلام طريقهم.

هكذا كتب السادة المفسرون. فالكلام عندهم علي التشبيه، تشبيه الهدي بالنور وتشبيه قلب المؤمن بالمصباح الممتار من كل ناحية الذي يكاد يضئ ولو لم تمسسه نار.

وقد ذكر ذلك المولي سبحانه في صورة مثل. ومن سنن القرآن ضرب الأمثال، لتقريب المعاني، فيشبه الأمر المعنوي بأمر محسوس.

وهنا شبه هداه في قلب المؤمن بمشكاة فيها مصباح. والمشكاه علي الراجح: موضع الفتيله من القنديل، أي المكان الذي يوضع فيه شريط اللمبه. والمصباح: الزباله التي تضيئ، أي الجزء الذي يشتعل من شريط اللمبه.

﴿ المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار ﴾.

فقد جمع هذا المصباح المشبه به قلب المؤمن كل ما يساعد علي إشراق نوره وبهائه ومزيد ضيائه.

فالمصباح له زجاجة، وزجاجة المصباح تساعد علي تجميع ضوءه وزيادته وحفظه مما يبدده. وكلما كانت الزجاجة أصفي كان ذلك للضوء أجود وأبهي، وزجاجة المصباح هنا شبهت بكوكب من الدر فالكوكب مضئ. وكونه من الدر إشارة إلي مزيد ضيائه.

وقد أمد هذا المصباح بزيت الزيتون الجيد الصافي، وعبر عن جودة الزيت وصفائه بأنه من شجرة مباركة. ووصفها بالبركة من الله فيه مزيد تنبيه لفضل شجرة الزيتون وزيتها، وهي شجرة ليست مثل غيرها من أشجار الزيتون، بل هي متميزة علي سائر جنسها من شجر الزيتون، بأنها شجرة يسر لها الانتفاع بالشمس من كل جهة، فهي لا

شرقية ولا غربية، فالشمس تصيبها بالغداة والعشي، وذلك أجود لزيتها، وبالتالي فزيتها يكاد يضئ ولو لم تمسسه نار، فإذا مسته نار فقد اكتمل الضوء باكتمال أسبابه وصار نوراً مضاعفاً عبر عنه المولي بقوله ﴿ نور علي نور﴾ وهنا ينتهي المشبه به .

فما هو المشبه إنه هداه تعالي في قلب عبده المؤمن، فيجتمع في قلب المؤمن نور إيمانه. ونور هداه سبحانه، أي نور القرآن. ونور الإيمان.

ولا يتهيأ لهذين النورين إلا من سبقت مشيئته تعالي له بذلك.

قال تعالي ﴿ يهدي الله لنوره من يشاء﴾ وقال ﷺ: «إن الله خلق خلقه في ظلمة. فألقي عليهم نوراً من نوره. فمن أصابه من ذلك النور اهتدي. ومن أخطأه ضل » رواه البزار .

وهنا قد يرد سؤال هو ما سبب هداية هذا وإضلال ذاك ؟ وقد أجاب سبحانه بقوله ﴿ والله بكل شئ عليم ﴾ أي هو أعلم بمن يستحق الهداية ومن يستحق الإضلال.

والله أعلـــم .

* * *

تفسير قوله تعالي ﴿ يا أيها الذين آمكنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحُلُم منكم ثلاثَ مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء. ثلاثُ عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكُم علي بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾ (النور: ٥٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

ففي هذه الآية الكريمة يعلمنا المولي عز وجل آداب الاستئذان داخل البيوت، استئذان العبيد والخدم والأطفال الذين لم يصلوا سن البلوغ، ،بعد أن علمنا في أوائل

هذه السورة آداب استئذان الكبار لدخول بيوت الغير.

والمولي عز وجل يوجب علينا أن نعلم العبيد ومثلهم الخدم والأطفال غير البالغين أن يستأذنوا علي الكبار إذا أرادوا الدخول علينا في أوقات خلوتنا، وهي ثلاثة أوقات وما عدا هذه الأوقات الثلاثة يدخلون بدون استئذان.

هذه الأوقات هي قبل صلاة الفجرحيث يكون الناس في ثياب النوم عادة أو يغيرونها ويلبسون ثياب الخروج، ووقت الظهيرة عند القيلولة حيث يخلعون ملابسهم عادة ويرتدون ثياب النوم للراحة، وبعد صلاة العشاء حين يخلعون ملابسهم كذلك ويرتدون ثياب النوم للراحة.

وسمي هذه الأوقات عورات لا نكشاف العورات فيها. وفي هذه الأوقات لابد من استئذان العبيد والخدم والأطفال المميزون الذين لم يبلغوا الحلم، كي لا تقع أنظارهم علي عورات أهليهم.

وهذا أدب يغفله الكثيرون في حياتهم المنزلية، مستهينين بآثاره النفسية والعصبية والخلقية، ظانين أن الخدم لا تمتد أعينهم إلي عورات السادة، وأن المميز قبل البلوغ لا يتنبه لهذه المناظر. بينما يقرر علماء النفس اليوم أن بعض المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم هي التي تؤثر في حياتهم كلها، وقد تصيبهم بأمراض نفسية وعصبية يصعب شفائهم منها.

والعليم الخبير يعلمنا ما يصلحنا في ديننا ودنيانا، وهو الخبير بالنفوس ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ (الملك: ١٤) ولم يجعل المولي عز وجل استئذان الأطفال والعبيد والخدم في كل وقت منعا للحرج، فهم كثيرو الدخول والخروج علي أهليهم بحكم صغر سنهم أو قيامهم بالخدمة.

فإذا وصل الصغار سن البلوغ، فإنهم يدخلون في حكم الأجانب الذين يجب أن يستأذنوا في كل وقت، حسب النص العام السابق في آيات الاستئذان في أوائل السورة. والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي : ﴿ **ليس علي الأعمي حرج ولا علي الأعرج حرج ولا علي**

المريض حرج ﴾ (النور: ٦١) (الفتح: ١٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

نزل هذا الجزء من الآية في سورتين هما: النور والفتح وما في النور نزل في سياق رفع الحرج عن الآكلين من بيوت حددتها الآية الكريمة.

فيكون المعني هنا رفع الحرج عن هؤلاء في الأكل من هذه البيوت قال سعيد بن المسيب: كان المسلمون إذا خرجوا إلي الغزو مع النبي ﷺ وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمي والمريض والأعرج وعند أقاربهم ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم، وكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون: نخشي أن لا تكون أنفسهم بذلك طيبة . فنزلت آية النور رخصة لهم في الأكل مما تحت أيديهم.

وأما آية الفتح فهي تنفي الحرج عن ذوي العاهات في التخلف عن الغزو، وكأنهم لما أبيح لهم التخلف عن الغزو وضع الخارجون للغزو مفاتيح بيوتهم أمانة عندهم، هذا والحرج: الإثم. فنفي الحرج عن هؤلاء معناه نفي الإثم عنهم والمرض: يشمل كل مرض يمنع من الجهاد. والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي: ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ (النور: ٦٣) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

ففي في هذه الآية ألوان من الأدب في مخاطبة النبي ﷺ ومعاملته. ففي الخطاب أمرنا بتعظيمه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم فنهاهم الله عز وجل عن ذلك إعظاما لنبيه ﷺ. قال: فقولوا: يا نبي الله يا رسول الله .

ووافقه علي هذا الرأي مجاهد وسعيد بن جبير. وقال قتادة. أمر الله أن يهاب نبيه وأن يبجل وأن يعظم وأن يسود. ولا خلاف بين الرأيين. فأحدهما أشمل من الآخر وقال مقاتل :معني الآية. لا تسموه إذا دعوتموه باسمه فتقولوا يا محمد أو يا بن عبد الله. ولكن شرفوه فقولوا يا نبي الله يا رسول الله. وليس لاحد بعد هؤلاء أن يتنطع فيصر علي ذكر اسمه مجردا فيقول مثلا كما سمعت ذلك من بعض السفهاء ممن لهم بين الناس منزله يقول محمد كذا وكذا وأصلح الله أحوالنا ورزقنا حسن الأدب .

وهذا معني قوله تعالي ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾. فليتنبه لمعني هذه الآية الذين إذا تحدثوا عنه ﷺ ذكروه باسمه مجرداً عن التعظيم كما ينادي أحدكم ولده أو خادمه وتضمنت الآية أدبا ثانيا في معاملته ﷺ هذا الأدب هو عدم الانصراف من مجلس النبي ﷺ إلا بإذنه،وهذا شأن المؤمن الكامل .

أما المنافقون فكانوا يتسللون من مجلسه متخفين يستخفي بعضهم ببعض، وقد هددهم الله علي عملهم هذا،كما هدد من خالف الأدب الثالث في الآية،وهو وجوب متابعته ﷺ فيما جاءنا به عن الله من كتاب وسنة،هدد الجميع بفتنة في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة أو عقاب أليم في الدنيا بقتل أو حبس.

قال مقاتل في صفة المخالفين للأدب الثاني: هم المنافقون كانت تثقل عليهم خطبة الجمعة فيلوزون ببعض أصحاب النبي ﷺ حتي يخرجوا من المسجد وكان لا يصلح للرجل أن يخرج من المسجد إلا بإذن من النبي ﷺ في يوم الجمعة بعد ما يأخذ في الخطبة .

وأكد ﷺ الأدب الثالث في الآية. وهو وجوب متابعته. بقوله«من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » رواه الشيخان .

وهكذا تضمنت هذه الآية ثلاثة آداب. الأول تكريمه ﷺ وتوقيره في مخاطبته والحديث عنه. والثاني عدم الانصراف من مجلسه إلا بإذنه. والثالث متابعته فيما جاءنا به من شرع الله وقد ورد في التأدب معه ﷺ غير هذه الآداب في آيات أخري. منها عدم رفع الصوت فوق صوته. قال تعالي ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا

تشعرون * إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوي لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾ (الحجرات: ٢، ٣) والله أعلم .

* * *

تفسير قوله تعالي : ﴿ وهو الذي مرج البحرين هذا عذبٌ فراتٌ وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا * وهو الذي خلق من المآء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديرا ﴾ (الفرقان: ٥٣، ٥٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

ففي هذه الآيات المباركات يمتنّ تعالي علي عباده بتذكيرهم بطرف من نعمه عليهم ونعم الله لا تعد ولا تحصي. قال تعالي: ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ .

والنعمة الأولي هناهي خلقة تعالي الماء، وجعله صنفين عذبا فراتا وملحاً أجاجا وعدم اختلاط الصنفين ببعضهما. بأن جعل بينهم حاجزا يمنعهما من الاختلاط وحاجة الإنسان إلي الماء العذب ملحة، فمنه شرابه وشراب حيواناته وري مزروعاته. والماء العذب يوجد في الأنهار، والعيون والآبار.

وهو مستمد من الماء المالح في البحار والمحيطات، فهي المخزن الرئيسي للماء العذب ومن حكمة الله أن جعل مياه البحار والمحيطات مالحة لئلا تفسد، ثم يخرج منها بحكمته حاجة الناس من الماء العذب.

وأما النعمة الثانية التي ذكر الله تعالي بها عبادة هنا، فهي خلقه لنا من ماء مهين ثم صورنا فأحسن صورنا، وخلقنا في أحسن تقويم، ورزقنا العقل الذي به نستطيع الانتفاع بما سخره لنا في السموات والأرضين، ونعقل به ما أنزله الله إلينا من شرعه القويم، وجعلنا امتداداً لآبائنا ننتسب إليهم، وجعل لنا من قرابات زوجاتنا أصهارا، وبهذا تتزايد نعمه علينا

بالخلق وتعديل الخلقة وامتداد الوجود بالأولاد، وكثرة الجماعة بالمصاهرة. والله أعلم.

تكذيب قوم نوح له ورده عليهم

قال تعالي: ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين * إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون * إني لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا علي رب العالمين * فاتقوا الله وأطيعون ﴾ (الشعراء: ١٠٥-١١٠)

يخبرنا تعالي في هذه الآيات عن موقف قوم نوح منه، وهو منهم نسبا، فهو مأمون من هذه الناحية، فهو لا يأتيهم إلا بما فيه خيرهم لانهم أهله.

ومع ذلك كذبوه لا لشئ إلا لأن فقراء قومه وضعافهم قد سبقوا إلي تصديقه وهم السابقون إلي دعوة الرسل دائما لعدم انشغالهم بدنياهم وما هذا بعذرلهم يصرفهم عن اتباع الحق، وإنما هو الكبر يصرف عن اتباع الحق.

ومثل ذلك فعل من بعدهم كفار العرب مع رسول الله ﷺ حيث قالوا: ﴿ لولا نزل هذا القرآن علي رجل من القريتين عظيم ﴾ (الزخرف: ٣١) وقالوا لرسول الله ﷺ: اجعل لنا يوما ولهم يوما. وقد ذكر تعالي لنا في قوله: ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ قاعدة. هي أن من كذب رسول من رسل الله فقد كذب رسل الله جميعا، لأن رسل الله جميعا كل رسول منهم يأمر بتصديق جميع الرسل.

ومن هنا فالمسلمون يؤمنون بجميع رسل الله كما قال تعالي: ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ (البقرة : ٢٨٥)

وفي هذه الآيات كرر سيدنا نوح الأمر بتقوي الله ثلاث مرات، والأمر بطاعته مرتين، ووصف نفسه بالرسالة والأمانة والعفة عما في أيديهم.

والتقوي كلمة جامعة: معناها فعل الأوامر واجتناب النواهي فالتقي هو المسلم الكامل الذي يؤدي أوامر الله ويجتنب نواهيه وتكرار الأمر بالتقوي لتأكيد طلبها والعناية بشأنها وتلك سنة قرآنية أن يكرر الأمر بالشئ عناية به.

وأمر سيدنا نوح قومه بطاعته: لأن طاعته من طاعة الله فهو يأمرهم بطاعته فيما جاءهم به من عند الله. وقد قال تعالي. ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ (النساء: ٨٠).

ووصف نفسه بالرساله إعلاماً لقومه بحقيقه أمره من أول الأمر، وليتفرع علي

الإيمان برسالته طاعته فيما يأمرهم به وينهاهم، وأزال شبهة ربما تعرض لهم هي احتمال مجيئه بشئ من عند نفسه بالإضافة إلي ما جاء هم به من الله. فوصف نفسة بالأمانه دفعا لهذا الوهم بقيت شبهة أخري قد تحول بين المدعوين إلي الله وبين الإسلام، هي الخوف علي أموالهم، فطمأنهم علي هذه الناحية. وأعلمهم أن أجره علي دعوته من الله رب العالمين.

ومن الإعجاز القرآني توزيع الأمر بالتقوي الذي تكرر ثلاث مرات علي الصفات الثلاث التي تقدم بها إليهم، ليصل بها إلي نفوسهم: فهو أخوهم: أي منهم وإليهم يبتغيَ لهم من الخير ما يبتغيه لنفسه، ولذا يأمرهم بتقوي الله .

وهو أمين: لا يزيد فيما يوحي إليه ولا ينقص منه ولذا فهو يأمرهم بالتقوي امتثالا لأمر الله.

وهو لا يتطلع إلي ما في أيديهم أجرا علي رسالته ولذا فهو يأمرهم بتقوي الله. كذلك فالتكرار في القرآن له في البلاغة قدم وأي قدم. والله أعلم

* * *

المؤمن الصالح الذي قال﴿ أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾ (النمل: ٤٠) وأني له بذلك ؟ .

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذه الآيات الكريمة وما تقدمها وما يتلوها حديث عن طرف من آيات الله في كونه. فهذا الهدهد من حولنا لا نأبه به ولا نقيم له وزنا، يحدثنا عنه القرآن حديثا عجبا. فهو قد أحاط خبراً بأحوال مملكه بلقيس بأرض اليمن وعبر عما أدرك في إيجاز بليغ. فهو يقول:

﴿إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم * وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ﴾ (النمل: ٢٣، ٢٤) .

ثم أنكر عليهم عبادتهم للشمس من دون الله. ذاكراً العديد من الأدلة علي استحقاقه تعالي وحده للعبادة، فهو يخرج الخبء في السموات والإرض، أي ما اختبأ

فيهما من ماء السماء ونبات الأرض،وهو يعلم السر والعلن،وهو رب العرش العظيم قائلاً كما حكي الله عنه :

﴿ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والإرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون * الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾ (النمل :٢٥،٢٦) .

فهل يدرك الفلاسفة الماديون. والملاحدة المنكرون لوجود الله سبحانه ما أدركه هدهد. ألا يتضاءل هؤلاء أمام إدراك هدهد. وإيمان هدهد وبلاغة هدهد في الدعوة إلي الله .

هذا ثم يحدثنا المولي سبحانه عن آية أخري من آياته في كونه عندما طلب سليمان من الملأمن قومة أن يتقدم أحدهم ليأتي له بعرش ملكة اليمن من بلاد اليمن إلي بيت المقدس بفلسطين والمسافة طويلة ومواصلات العصر كليلة وهنا يتقدم عفريت من الجن يعرض علي سليمان الإتيان به قبل أن يقوم سليمان من مجلسه.

وكان يجلس للناس للقضاء من أول النهار إلي أن تزول الشمس أي إلي وقت الظهر .

وهنا قال الذي عنده علم من الكتاب. آصف بن برخيا كاتب سليمان من الأنس. وكان صديقا صالحاً. أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك. أي قبل أن تغمض جفنك بعد كلاله.

وقد كان ذلك فعلا. فقد أحضر العرش قبل أن يغمض سليمان طرفه ولنا هنا وقفة.

إن الإنسي قد فاقت قوته الجني. وقد ذكروا من قوة ذلك الجني. أنه يبدو وكأنه جبل . فمن أين للإنس هذه القوة. وقوة الجسد الإنساني مهما عظمت محدودة.

إن الجواب عن ذلك أن القوه التي انطلقت في الإنس ففاقت قوة الجني إنما هي قوة الروح البشري الذي اغتذي بعبادة الرحمن. إنها القوة التي تفجرها التقوي .

هذا الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه تكسر درعه يوم خيبر. فيتدرع بأحد أبواب حصون خيبر. ويكر به ويفر يحمله بيسراه ويقاتل بيمناه. وقد عجز الجمع الغفير بعد المعركة عن حمله . ويحسبنا هذا . والله أعلم .

* * *

تصوير لبعض مشاهد يوم القيامة

قوله تعالي ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ (الزمر:٦٨) و قوله تعالي: ﴿ ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ (النمل:٨٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

في هاتين الآيتين تصوير لبعض مواقف القيامة التي تبدأ بنفخة الفزع فلقد التقم إسرافيل عليه السلام القرن، وهو شاخص ببصره إلي العرش ينتظر متي يؤمر فينفخ نفخة الفزع ، فيفزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله. وهذه النفخة هي التي وردت في قوله تعالي: ﴿ ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ وبها تسير الجبال، فتمرّ مرّ السحاب، فتكون سرابا، وتذهل المراضع، وتضع الحوامل، ، ويشيب الولدان. قال تعالي :﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وتري الناس سكاري وما هم بسكاري ولكن عذاب الله شديد ﴾ (الحج:١، ٢).

وقد سأل أبو هريرة رسول الله ﷺ عمن استثني الله حين يقول ﴿ ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾. فقال له ﷺ: «أولئك الشهداء » ويصل الفزع إلي الأحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون وإنما وقاهم الله فزع ذلك اليوم.

وآمنهم منه وهو عذاب الله يبعثه علي شرار خلقه.

ثم يؤمر اسرافيل بالنفخة الثانية. نفخة الصعق، فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله.

فإذا ماتوا جاء ملك الموت إلي الجبار عز وجل. فيقول: يارب قد مات أهل السموات وأهل الأرض إلا من شئت وهم حملة العرش وجبريل وميكائيل وعزرائيل - فيأمر الله بموت جبريل وميكائيل فيموتان ثم يأمر الله بموت حملة العرش، فيموت حملة العرش، ثم يأمر الله عزرائيل بالموت فيموت عزرائيل، ويبقي الحي الذي لا يموت فإذا

لم يبق إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد، نادي ثلاث مرات لمن الملك اليوم، فلا يجيبه أحد فيقول سبحانه: لله الواحد القهار .

ثم يحي الله أول من يحيي إسرافيل، ويأمره أن ينفخ في الصور النفخة الثالثة نفخة البعث.

قال تعالي ﴿ ثم نفخ فيه أخري فإذا هم قيام ينظرون ﴾ (الزمر ٦٨) فماذا أعددت أخي المسلم لهذا اليوم من زاد أترضي أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد.

وزاد هذا اليوم. قد أمرنا الله به في قوله تعالي: ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوي﴾ (البقرة:١٩٧) والله أعلم.

* * *

قدرة الله علي إخراج الحي من الميت

﴿ يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ﴾ (الروم:١٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

تشير هذه الآية الكريمة إلي كمال قدرته تعالي علي الخلق بخلقه الأشياء المتقابله فمن ذلك خلقه النبات الحي من الحب الميت، وخلقه الحب الميت من النبات الحي، ومن ذلك خلقه الإنسان من النطفة الميتة، وخلقه النطفة الميتة من الإنسان.

وقد استشكل البعض ذلك فقال إن الإنسان يخلق من الحيوان المنوي الذي يسبح في النطفة، والحيوان المنوي حي، وهذا صحيح، ولكن الخلق يبتدئ بتلقيح الحيوان المنوي لبويضة الأنثي، وذلك إنما يتم بانفصال رأس الحيوان المنوي واندماجه في بويضة الانثي، وبذلك تتم الخليقة الأولي في جسم الإنسان بجسم ميت لا حياة فيه، وإنما ينفخ الروح الإنساني في الإنسان بعد مائة وعشرين يوما من تمام التلقيح. وعليه فثبت أن الله يخرج الإنسان الحي من البويضة الملقحة وهي ميتة وقوله : ﴿ ويحي الأرض بعد موتها ﴾ إشارة إلي أن الأرض تحيا بالماء وتؤتي ثمارها قال تعالي :﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾ (الحج:٥).

هذا وقدرته تعالي علي خلق الأحيـاء من الأموات في النشأة الأولي، دليل علي قدرتـه تعالي علي إعـادة الناس بالبعث في الآخـرة. وهذا ما يصـرح به قوله تعـالي: ﴿وكذلك تخرجون﴾ . فمن قدر علي خلق الأحياء من الأموات قادر علي إعادة الحياة للأجسام الباليه والعظام النخرة. والله أعلـــم.

* * *

التعرف بمن يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله

ما تفسير قوله تعالي﴿ ومن الناس من يشتـري لهو الحديث ليضل عن سـبيل الله بغير علم ويتخـذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين * وإذا تتلي عليه آياتنا ولي مـستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم﴾ (لقمان:٦،٧) .

بسم الله الرحمن الرحيم

نزلت هذه الآيات في النضر بن الحارث. وكان يشتـري أخبار الأكاسرة من فارس ويقول إن مـحمدا يقص طرفـا من قصة عـاد وثمود ، فـأنا أحدثكم بحديث الأكـاسرة فيميلون لحديثه. ويتركون استماع القرآن .

ولكن العبـرة بعموم لفظ الآية، لا بخـصوص سبب نزولهـا، فهي وإن نزلت في النضر بن الحارث وصنيعه، فهي تشمل كل من يصنع مثل صنيعه ممن يتلهي بالباطل عن الخير ويلهي غيره كذلك.

هذا ولهو الحديث هو مثل السمر بالأساطير وهي الخرافات.

قال الإمام النسفي: اللهو كل باطل ألهي عن الخير .

ونلحظ في تعريف الـنسفي للهو أنه اشـترط فيـه شرطين: الأول أنه باطل. أي لا فائدة فيه .

والشرط الـثاني: أنه يشغـل عن الخير. بمعنـي أنه يصد عن ذكر الله وعـن الصلاة وغـيـر ذلك من أركـان الدين وشـعـائره لقـوله تعـالي ﴿ ليـضل عن سـبـيل الله ﴾ والشراء: يشـمل الشراء الحقيـقي، مثل شراء القصص الماجن، وآلات اللهـو، وتذاكر دور اللهو، كما يشمل مطلق الاستبدال .

فالمهم هو استبدال هذا اللهو بدين الله. أي الانشغال باللهو عن سبيل الله يفعل ذلك ليصد الناس عن الدخول في الإسلام، أو عن المحافظة عليه، أو لينصرف هو به عن دين الله، كما فعل ذلك النضر سابقا في صدر الإسلام، وكما يفعله أصحاب الأغراض الخبيثة الذين يسعون صرف المسلم عن دينه بشغله عنه بوسائل اللهو المختلفة .

وأثرها في صرف الناس عن إسلامهم واضح لا خلاف فيه.

فكل دار لهو إنما هي دار للشيطان يتصيد بها عباد الرحمن .

فإذا كانت المساجد بيوت الله في الأرض تعمرها ملائكته، فدور اللهو بأشكالها وألوانها بيوت للشيطان، وما يدور فيها لا يذكر بالله، ولا يحض علي طاعته، وكل ما نسمعه عنها لا يحمده شرع، ولا يرضي به عقل، ولا يبني أمه، ولا يقيم دولة.

إلا القليل من الخير الملوث بالباطل، كبعض الطيب من الطعام يوجد في صناديق القمامة .

هذا ويلهو اللاهي غالبا غير عالم بعظم ما اقترفه من إثم، هازئا بدين الله.

وهزء اللاهي بما لا يعرف قدره أشد ضرراً عليه من لهوه، لأن ضرر لهوه قاصر عليه، وضرر هزئه يتعداه إلي الدين نفسه، ومن هنا كان ما ينتظره من عذاب الله من جنس فعله، عذابا مهينا .

فهو يهين الدين بهزئه فكانت عقوبته عذابا مهينا .

ويجمع اللاهي ،إلي لهوه وهزئه بالدين كبيرة ثالثة تلك هي ما أشار إليها المولي عز وجل بقوله ﴿وإذا تتلي عليه آيتنا ولي مستكبرا. كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا. فبشره بعذاب أليم ﴾.

يالله لعباد الله لم يقف الأمر بهؤلاء العصاة عند حد، فلقد استبدلوا لهو الحديث بالطيب من القول، وفعلوا ذلك ليصدوا عن سبيل الله، وجمعوا إلي هذين تصامهم وتكبرهم عن سماع آيات الله، ألابئس ما يفعلون.

وحقت عليهم كلمه الله بالعذاب الأليم مع العذاب المهين، فجمع الله لهم بين العذابين الأليم والمهين .

هذا والهزء بآيات الله من أشد المعاصي عقوبة، وعقوبته معجلة، لأنه كفر وزيادة. يروي ابن هشام ذلك شارحا لقوله تعالي ﴿**إنا كفيناك المستهزئين * الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعملون**﴾ (الحجر: ٩٥، ٩٦) .

فيقول: أتي جبريل رسول الله ﷺ وهم - أي المستهزئون بدين الله - يطوفون بالبيت، فقام وقام رسول الله ﷺ إلي جنبه، فمر به الأسود بن المطلب فرمي في وجهه بورقة خضراء فعمي، ومر به الأسود ابن عبد يغوث فأشار إلي بطنه فاستسقي بطنه فمات منه، ومر به الوليد ابن المغيرة فأشار إلي أثر جرح بأسفل كعب رجله كان أصابه قبل ذلك بسنتين وليس بشئ. فانتقص به فقتله، ومر به العاص بن وائل فأشار إلي أخمص رجله، فخرج علي حمار له يريد الطائف فربض به فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته، ومر به الحارث بن الطلاطلة فأشار إلي رأسه فامتخض فيها فقتله .

فحذار أخي المسلم مما فعله الكافرون، فليس بين الله وبين أحد من عباده نسب، فما عاقب الله الكافر عليه، لا يسلم من عقوبته المسلم أبدا .

فهؤلاء الذين يتندرون بشرع الله، ويهزئون بما أنزل الله بالهمز واللمز والرسم والكاريكاتير، إنما يعرضون أنفسهم لسخط الجبار، ومن له بحرب الله يدان، إنهم أكثر من اللاعبين بالنار ومصارعي الأسود .

إنهم وهم العبيد الضعاف يتعرضون لسخط قيوم السموات والأرض وفي الحديث النبوي الشريف التحذير من هذا الباب. وإغلاقه أحكم إغلاق قال ﷺ: « وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار سبعين خريفا»

صدق رسول الله ﷺ وهؤلاء الذين يسعون لصرف المسلم عن دينه وشغله عنه بوسائل اللهو المختلفه، من دور للهو الفاجر وقصص ماجن، وغير ذلك من كل ما يضر ولا ينفع إنما يبارزون الله بما يغضبه.

ومثل هؤلاء وأولئك الذين يعرضون عن الاستماع لآيات الله وتدبرها ويضعون العوائق والعقبات بين المسلم ودراستها.

فينشأ المسلم والمسلمة ورأس كل منهما خال من القرآن الكريم ، وبالتالي لا يصدر عنه سلوك إسلامي. ومن وأين له السلوك الإسلامي ورأسه خال من الفكر الإسلامي.

إن هذه الآية تهدد بالدرجة الأولي في أيامنا هذه واضعي خطط الدراسة ومناهجها في البلاد الإسلاميه.

الذين يسقطون الدراسات الإسلاميه من مناهجهم.

وواجب كل مسلم ومسلمة أن يتعرف إلي قرآنه وإلي سنة نبيه ﷺ مهما اختلفت التخصصات.

والله الموفق والهادي إلي سواء السبيل.

بيان سبب اسناد توفي الأنفس لله تارة ولملك الموت تارة ثانية. ولأعوان ملك الموت تارة ثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أسند قبض الروح في القرآن تارة إلي الله تعالي كما في قوله سبحانه ﴿ الله يتوفي الأنفس حين موتها ﴾ (الزمر: ٤٢) وأسند تارة ثانية إلي ملك الموت كما في قوله عز من قائل: ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ﴾ (السجدة/ ١١) ، وتارة ثالثة إلي رسل الله، أي طائفة معينة من الملائكة قال تعالي: ﴿ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتي إذا جاء أحدكم الموتُ توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ (الأنعام: ٦١).

ويجمع بين هذه الآيات. كما قال ابن عباس وغيره. بأن لِمَلَك الموت أعوانا من الملائكة يخرجون الروح من سائر الجسد، حتي إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت عزرائيل عليه السلام، وعزرائيل وأعوانه لا يقبضون الروح إلا بأمر الله.

فنسب قبض الروح تارة لله عز وجل لأنه الآمر بقبضها، ونسب تارة لعزرائيل لأنه الذي يتولي قبضها إذا بلغت الحلقوم، ونسب القبض ثالثة لأعوان ملك الموت من الملائكة لأنهم الذين يقبضون الروح من سائر الجسد حتي تبلغ الحلقوم.

وهنا قد قد يسأل سائل: كيف يستطيع مَلَك الموت وهو واحد القيام بمهمة قبض الأرواح مع كثرة الموتي في أنحاء الأرض في الوقت الواحد.

وقد أجاب عن ذلك السؤال إمام من أئمة التفسير وهو مجاهد. بقوله: طُوِيتْ له الأرض فجعلت مثل الطست يتناول منها متي يشاء.

هذا في شأن قبض الروح بسبب الموت، وهنـاك وفاة صغري هي النوم ولم يسند أمره لغير الله عز وجل قـال سبحانه وتعالي: ﴿ **الله يتـوفي الأنفس حين موتهـا والتي لم تمت في منامها** ﴾ أي ويتوفي الأنفس التي لم تمت في منامها.

كما قال تعالي: ﴿ **وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جـرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه لِيقَضَى أجَلٌ مُسَمي** ﴾ (الأنعام: ٦٠).

وفي أثناء الوفاتين الصغري والكبري تلتقي أرواح النائمين بأرواح الموتي، وتتحدث وتتعارف، ويخبر كل منهمـا الآخر بما عنده، وقد اشرت إلي شئ من ذلك في أحاديث سابقة. والله أعلـم.

* * *

تفسير قوله تعالي: ﴿ **يا أيهـا النبي قل لأزواجك وبنـاتك ونسـاء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدني أن يعرفن فلا يؤذين** ﴾ (الأحزاب: ٥٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

الزي الشرعي للمـرأة هو ستر جمـيع بدنها ما عـدا الوجه والكفين ظاهرا وباطنا لقوله تعالي: ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها** ﴾ (النور: ٣١).

هو الوجه والكفـان ظاهرا وباطنا. لتفسـيره ﷺ الآية بذلك في حديث أسـماء بنت أبي بكر، فـقد قال لهـا ﷺ: « يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحـيض لم يصلح أن يرَي منها إلا هذا وأشار إلي وجهه وكفيه».

ويجب أن يكون السـتر بثياب لا تصف الجسـد بضيقهـا، ولا تشف عما تحـتها لخفـتَها وهذه الآية التي معنا وهي قـوله تعالي: ﴿ **يا أيهـا النبي قـل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدني أن يعرفن فلا يؤذين** ﴾.

نزلت بعد أن استقر أمر الشريعةَ علي وجوب ستر العورة، فلا بد أن يكون الستر المأمور به هنا زائداً علي ما يجب ستره، فالمراد بالجلباب الثوب الذي تستر به المرأة بدنها كله من فوق ثيـابها. كالعبـاءة، وتتأتي معه رؤيـة الطريق إذا مشت، وعلي ذلك يكون الأمر بإدناء الجلاليب من الأدب الحسن زيادة في التستر والاستعفاف، وزيادة علي القدر الواجب ستره.

وقد صور ابن عباس ذلك بالاتكشف المرأة الا عينا واحدة تري بها الطريق إذا مشت، وأعود لأوكد أن ستر الوجه والكفين ليس واجبا وإنما هو من الأدب الحسن زيادة فوق الواجب، فمن شاءت فعلته، ومن شاءت تركته.

وسبب نزول الآية أن الحرائر من المسلمات كن يخرجن لحاجتهن ليلا فكان يتعرض لهن بعض الفساق، فإذا عوتبوا في ذلك قالوا حسبناهن إماءا، فأمرت الحرائر بذلك ليتميزن عن الإماء، ولم تؤمر الإماء بذلك رفعا للحرج عنهن لكثرة حاجتهن إلي الخروج لخدمة سادتهن، ولو فعلن لما منعن. وأما منع سيدنا عمر للإماء من ذلك اللباس، فقد كان لظرف خاص، فقد خشي عليهن إن تقنعن عند الخروج أن يثقلن علي أسيادهن بسبب بطئهن في الخدمة.

وذهب أبو حيان إلي أن النساء مراد بهن الحرائر والإماء، ومعني قوله: ﴿ ذلك أدني أن يعرفن فلا يؤذين ﴾ أي يعرفن بالعفة فلا يؤذين بالتعرض لهن.

فإن المرأة إذا بالغت في التستر لا يتعرض لها أهل السوء غالبا.

والله أعلم.

* * *

الأمانه التي حملها الإنسان وكان ظلوما جهولا

قال تعالي ﴿ إنا عرضنا الأمانة علي السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها.وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾ (الاحزاب: ٧٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمانه كلمه يتسع معناها حتي يشمل الطاعات كلها التي هي فرائض الله التي ائتمننا عليها، كما تشمل أعضاءنا وجوارحنا، وما تحت أيدينا مما سخره الله لنا من الأرض وما أقلت، والسماء وما أظلت. وقد كلف الله السموات والأرض والجبال كما كلف الإنسان، فأطاعت هذه الأجرام العظام من السموات والأرض والجبال وانقادت لأمر الله الانقياد الذي يناسبها، وأطاعته الطاعة التي تليق بها.

قال الإمام النسفي: حيث لم تمتنع علي مشيته وإرادته إيجادا وتكوينا وتسوية علي

هيئات مختلفة وأشكال متنوعة. كما قال تعالي:

﴿ ثم استوي إلي السماء وهي دخانٌ فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أوكرها قالتا أتينا طائعين ﴾ (فصلت:١١) وأخبر سبحانه أيضا أن الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب يسجدون لله. وأن من الحجارة لما يهبط من خشية الله وأما الإنسان: فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه. وهو الذي ميز بالعقل، مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الإنقياد.

وهذا معني قوله تعالي ﴿ فأبين أن يحملنها ﴾ أي أبين خيانة الأمانة.

فإن حمل الأمانة معناه في اللغة: خيانتها وعدم أدائها. يقال: فلان حامل للأمانة: أي لا يؤديها لأصحابها. مع طلبهم لها منه، فإذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حامل لها.

وسبب أداء هذه الأجرام العظام لما كلفت به. وطاعتها لمولاها. وسجودها وتسبيحها له، هو خوفها من المولي عز وجل خوفا يليق بها. قال تعالي:

﴿ فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ﴾ وهكذا فكل المخلوقات ما عدا الإنس والجن مطيعة لربها منقادة له. ساجد مسبحة. إلا الثقلين، ففيهما الطائع والعاصي، والمؤمن والكافر. قال تعالي ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا ﴾ (الإسراء:٤٤).

كما قال تعالي ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ﴾ (الحج:١٨) صدق الله العظيم.

ومن عجب إجماع الخلائق علي طاعته من شمس وقمر ونجوم وجبال وشجر ودواب، فليس هناك نجم مؤمن ونجم كافر، وليس هناك جبل مؤمن وجبل كافر. أما جنس الإنسان الذي ميز بالعقل فهو الذي انقسم إلي مؤمن وكافر قال تعالي مبينا حال الناس بعد إذ حدثنا عن سجود الكائنات كلها له ﴿ وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ﴾ (الحج:١٨) فبين أن الناس قد انقسموا إلي مؤمن وكافر دون سائر الكائنات.

وهكذا نفهم من قوله تعالي ﴿ وحملها الإنسان ﴾ أي خان الأمانة وعصي

مولاه، فلم يؤد فرائضه التي ائتمنه الله عليها، فكان بعصيانه لله وخيانته للأمانة ظلوماً لنفسه، حيث عرضها لسخط الله وعقوبته، وكان جهولاً لتركه ما يسعده من الطاعة وأداء الأمانة.

وليس المراد أن جنس الإنسان كله متصف بذلك، بل هناك من أدي الأمانة كاملة من أنبياء الله ورسله والصديقين والشهداء والصالحين.

ومن أداها ناقصة. ممن خلط عملا صالحا وأخر سيئا.

هذا وللأمانة في الإسلام شأن عظيم، بعد إذ عرفنا أنها تتسع حتي تشمل التكاليف كلها، من أداء للفرائض، وحفظ للحواس التي هي أمانات الله لدينا، وحفظ لكل ما استحفظنا الله عليه، من مال وولد ووقت ومكان ويدخل فيها أيضا ما يأتمن الناس بعضهم بعضاً عليه.

فمن ضيع شيئاً من ذلك فقد خان الأمانة بمقدار ما ضيع، فمثلا من أهمل تربية أولاده تربية إسلامية فنشأوا بعيدين عن دينهم متنكرين له، فقد ضيع ما ائتمنه الله عليه من أمانة الولد. وهو مسئول عن ذلك.

قال تعالي ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ (التحريم:٦) ولا يؤدي الأمانة علي وجهها إلا مؤمن كامل الإيمان.

وبقدر ما ينقص إيمان المؤمن تنقص أمانته. فالإيمان الكامل معه الشعور الكامل برقابة الله ومعية الله، وهما يستتبعان أثرهما من المجاراة علي الأعمال. وإذا نقص الإيمان نقص الشعور برقابة الله ومعيته.

فينطلق الإنسان وقد أسلم زمامه للشيطان يعيث في الأرض فسادا قال ﷺ: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » والله أعلم.

* * *

عموم بعثة للناس كافه وللجن كذلك
ومن لم تصله الرساله معذور

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول تعالي ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ والآيه تفيد عموم رسالته ﷺ إلي الناس جميعا وقد ورد في ذلك الكثير من الآيات القرآنية تأكيداً لعموم دعوته. قال تعالي ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ (الاعراف:١٥٨) كما قال تعالي ﴿تبارك الذي نزل الفرقان علي عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ (الفرقان:١) وصرح ﷺ بعموم دعوته فقال:

« أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا. فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعه. وكان النبي يبعث إلي قومه خاصة وبعثت إلي الناس عامة »

هذا ودعوته ﷺ عامة للإنسان والجن ، قال ﷺ: « بعثت إلي الأحمر والأسود» قال مجاهد: يعني الجن والإنس وقد صرح الجن بذلك قال تعالي حكايا كلامهم ﴿ يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به ﴾ (الاحقاف :٣١).

وعلي هذا فكل إنسي أو جني من لدن بعثته ﷺ إلي قيام الساعة مطالب بالإيمان به ﷺ والعمل بشرعه .

وأما من لم تصلهم الرسالة المحمدية، فهن معذورون إلا أن يكون في مكنتهم طلبها ومعرفتها ولم يفعلوا ذلك . والله أعلم .

* * *

تفسير قوله تعالي : ﴿ إنما يخشي الله من عباده العلماء ﴾ (فاطر:٢٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

الخشية: هي امتلاء القلب بالهيبة والجلال، والتعظيم والإجلال لله عز وجل وذلك إنما يحصل للعالم بالله وصفاته. فمن علم أن الله وحده هو المحي المميت، النافع

الضار، الخلاّق العليم، الرءوف الرحيم وأن أحداً من خلق الله لا يملك من أمر نفسه شيئا، فضلا عن أن يملك من أمر غيره شيئا كما قال ﷺ: « واعلم أن الأمة لو أجتمعت علي أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا علي أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك.

رُفعت الأقلام وجفت الصحف».

وعلم مع ذلك أنه سبحانه من عباده قريب، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وأنه قيوم السموات والأرض. وما فيهما . خلقهما ويدبر الأمر فيهما وحده ويمسك السموات والأرض أن تزولا.

من عَلِمَ ذلك. وهو قليل من كثير من صفات المولي عز وجل.

امتلأ قلبه هيبة وجلالا. وتعظيماً وإكبارا.

ومن لازم ذلك محبته سبحانه وتعالي. فآثار صفات الجمال ملازمة لآثار صفات الجلال.

فهو لا يري في الوجود إلا خلقه سبحانه وتعالي. وعليه آثار صفاته سبحانه فهو وحده مكوّن، الأكوان ولا يصرف العارف عن مشاهدة آثار قدرته سبب ظاهر أو خفي. وإنما يري أثر القدرة ظاهراً جليا.

والخشية من الله هي أن يستحي الإنسان من ربه أن يراه حيث نهاه، أو أن يترك ما أمر به مولاه، وهو حياء مقرون بإجلال الله عز وجل، لعلمه بجلال الله وكماله فهو يخشاه لما امتلأ قلبه بجلال مولاه. وجماله كذلك.

ومن هنا كان أخشي الناس لله أعرفهم بالله وكمالاته. وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: إنما يخشي الله من عباده العلماء لأنهم يعلمون أن الله علي كل شئ قدير. وقال الحسن البصري: العالم من خشي الرحمن بالغيب. ورغب فيما رغبّ الله فيه. وزهد فيما زهدّ الله فيه.

والمقصود بالعلماء هنا الذين يعرفون عظمة الله وجلال الله وجمال الله وبالتالي يخشون الله لما يدركونه من عظمته وجلاله وجماله. والعلماء بالشرع الإسلامي هم أهل الخشية من الله، وهم المقصودون هنا أولا أما العلم المادي البحت الذي ليس معه إدراك

لجلال الله وجماله، فليس لآله من هذه الخشية نصيب .

غير أن العباقرة من العلماء في العلوم الكونية إذا صفي حسهم يدركون إبداع المولي فيما يعلمونه من علوم. فيخرون للأذقان سجداً انبهاراً بعظمة الخالق المبدع .

وقد كتب عالم من علماء أمريكا كتاباً في هذا الشأن بعنوان: العلم يدعو للإيمان وترجم هذا الكتاب للعربية أما أنصاف العلماء، أو إن شئت قلت أشباه العلماء في العلوم المادية. فهم الذين يكفرون بالله. وينكرون وجود الله. ألا كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا . ﴿ أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون * أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ﴾ (الطور: ٣٥، ٣٦) .

اللهم عرفنا بك حتي نعبدك حق عبادتك حبا فيك وشوقا إليك . وطلبا لرضوانك إنك سميع قريب مجيب والله أعلم .

تفسير قوله تعالي﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير * جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ﴾ (فاطر: ٣٢، ٣٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

المراد بالكتاب هنا جنس الكتب المنزله وتشمل القرآن الكريم، وورثته هم المسلمون، وهم ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الأقسام الثلاثة هم أمة محمد ﷺ، ورثهم الله تعالي كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب وكذا قال غير واحد من السلف أن الظالم لنفسه من هذه الأمة، من المصطفين علي ما فيه من عوج وتقصير .

ويري آخرون أن الظالم لنفسه ليس من هذه الأمة، ولا من المصطفين الوارثين للكتاب .

قال ابن كثير: والصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة، كما جاءت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ من طرق يشد بعضها بعضا .

من ذلك ما رواه ابن أبي حاتم بسنده عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفين من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ﴾قال: فأما الظالم لنفسه فيحبس حتي يصيبه الهم والحزن ثم يدخل الجنة » علي الرأي الراجح الذي يدخل الظالم لنفسه في هذه الأمة .

فالظالم لنفسه هو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا، وأما المقتصد فهو الذي فعل المأمورات وترك المنهيات،ولكنه ارتكب بعض المكروهات وترك بعض المستحبات، وأما السابق بالخيرات فهو الذي فعل الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات وبعض المباحات .

ويبدو لي رجحان رأي ابن كثير لأدلته التي ذكرها من ناحية،ولأن الآية تدخل الظالم لنفسه في ورثة الكتاب المصطفين،ولعطف قوله تعالي﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم ﴾ في الآيات التالية للحديث عن المصطفين علي المصطفين،والعطف يقتضي التغاير،فدل هذا علي أن المصطفين جميعاً غير الكفار،فيدخلون جميعاً في الإجابة،أي في المسلمين.

وهذه الفرق جميعاً من عباده المصطفين الذين أورثوا الكتاب المنزل من رب العالمين يدخلون يوم القيامة جنات عدن،أي إقامة يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا،وقد ذكرت السنة كمية هذه الحلي قال ﷺ:« تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » ولما حرموا الحرير في الدنيا متعوا به في الآخرة.قال ﷺ:« من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ».

وقد جمع الله لهم إلي متعة الحس متعة النفس، فأزال عنهم الخوف بأشكاله وألوانه من هموم الدنيا والآخرة، وليس أبهج للإنسان من أمن بعد خوف، وطمأنينة بعد قلق، ولذا هتفوا شاكرين لله نعمة الأمن قائلين:﴿ الحمد لله الذي أذهب عنا الحزَن﴾ (فاطر:٣٤) وهو أمن موصول يصحبهم في موتهم وقبورهم ونشرهم وحشرهم. روي الطبراني بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:«ليس علي أهل لا إله إلا الله وحشة في الموت ولا في القبور ولا في النشور وكأني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رءوسهم من التراب يقولون:﴿ الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا

لغفور شكور ﴾ صدق رسول الله ﷺ.

وقد أشاروا بقولهم: ﴿ إن ربنا لغفور شكور ﴾ إلي غفرانه لهم الكثير من السيئات، وشكره لهم اليسير من الحسنات. قال ابن عباس رضي الله عنهما : غفر لهم الكثير من السيئات، وشكر لهم اليسير من الحسنات.

وقد اعترفوا بأن الله تعالي أعطاهم هذا المقام من فضله، ولم تكن أعمالهم تؤهلهم لذلك، فقالوا: ﴿ الذي أحلنا دار المقامة من فضله لايمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ﴾ (فاطر:٣٥) ويؤكد ما اعترفوا به ما ثبت في الصحيح من أن رسول الله ﷺ قال: «لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ . قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله تعالي برحمة منه وفضل»

وقد جمع الله لهم إلي ما تقدم من نعمه عليهم عدم النصب وعدم اللغوب وكل منهما يستعمل في التعب. والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي: ﴿ وإذ قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوآ أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين ﴾ (يس:٤٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذه الآية إخبار من المولي عز وجل عن رزيله من رزائل الكفار هي الجدل بالباطل للدفاع عن وجهة نظر فاسدة لهم وهم بدفاعهم هذا يخفون الحقائق. فهم إنما امتنعوا عن الأنفاق علي المحتاجين شحاً منهم، وعدمَ تصديق بوعدِ الله لهم، بمضاعفة الأجر لهم علي ما ينفقونه.

في قوله تعالي: ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسناً فيضاعفه له أضعافا كثيرة ﴾ (البقرة:٢٤٥).

ولكنهم لا يحبون الجهر بهذا، فيتسترون خلف هذا الستار من الجدل قائلين ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ﴾. وغاب عنهم أن ما بأيديهم من مال إنما هو مال الله.

استخلفهم فيه. قال تعالي: ﴿ وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ (الحديد :٧).

والله أعلـــم.

* * *

تفسير قوله تعالي : ﴿ ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون ﴾ (يس:٦٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فقد جاءت هذه الآية بعد قوله تعالي: ﴿ ولو نشآء لطمسنا علي أعينهم فاستبقوا الصراط فأني يبصرون * ولو نشآء لمسخناهم علي مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون ﴾ (يس:٦٦،٦٧).

لتأكيد أن من قدر علي أن ينقل الناس من الشباب إلي الهرم ومن القوة إلي الضعف ومن رجاحة العقل إلي الخرف وقلة التميز ـ وذلك مُشَاهَد لا يُنْكر ـ قادرٌ علي أن يطمس أعينهم، ويمسخهم علي مكانتهم، ويبعثهم بعد الموت. كما صرحت بذلك الآيتان السابقتان علي هذه الآية. فآيتنا هذه بمثابة الدليل علي مضمون الآيتين السابقتين عليها: وهي تذكرنا أيضا بأن هذه الدار لاثبات لشئ فيها، فكل ما فيها إلي تغير وزوال، حتي يأخذ الإنسان فيها من شبابه لهرمه ومن حياته لموته.

ذلك أن تنكيس الشئ جعل الشئ أعلاه أسفله، بالانتقال من حال طيبة إلي حال دونها. وذلك كما رأينا بانتقاله من الشباب إلي الهرم، ومن رجاحة العقل إلي قلة التميز.

وقد ذكر المولي عز وجل هذا المعني في آيات متعددة. فنجده مفصلا في قوله تعالي: ﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ﴾ (الروم:٥٤).

فتصرح هذه الآية بصورة التنكيس في قوله تعالي: ﴿ ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبه ﴾ كما تصرح بصورة التنكيس أيضا آية الحج. قال تعالي: ﴿ ومنكم من يرد إلي

أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ﴾ (النحل: ٧٠).

والله أعلـــم.

* * *

تفسير قوله تعالي: ﴿ إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد ﴾ (الصافات: ٦، ٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

للنجوم في السمـاء ثلاث منافع؛ فهي زينة للسماء الدنيا، وهي عـلامات يهتدي بها في ظلمات البر والبحر، وهي تحفظ السماء من الشياطين.

بهـذا جاءت آيات الكتـاب الكريم. قال تعـالي: ﴿ إنا زينا السـمـاء الدنيـا بزينة الكواكب * وحفظا من كل شـيطان مارد ﴾ كما قال تعالي: ﴿ وعلامـات وبالنجم هم يهتدون ﴾ (النحل: ١٦).

أما كـيف تكون النجوم رجومـا للشياطين، وهي في نفس الوقت زينة للسـماء؛ فيـرجع ذلك إلي أنها لا يرمي بها ذاتهـا، وإنما تنطلق شعلة نارية منها تحـرق الشيطان، ولا ينقص النجم، أو يرمي الشـيطان بأجـزاء صغـيرة منهـا، بحـيث لا يؤثر في النجم انفصال هذه الأجزاء عنه.

روي الإمام أحـمد عن ابن عبـاس رضي الله عنهما قال: كـان الجن يستمـعون الوحي فيسمعون الكلمـة فيزيدون فيها عشرا. فيكون ما سـمعوا حقا وما زادوه باطلا. وكانت النجوم لا يـرمي بها قبل ذلك. فلما بعث رسـول الله ﷺ كان أحدهم لا يأتي مقـعده إلا رمي بشهاب يحـرقه، فشكوا ذلك إلي إبلـيس فقال: ماهذا إلا من أمـر قد حدث. فبث جنوده فإذا النبي ﷺ يصلي بين جبلي يدنخلة، فأتوه فأخبروه فقال: هذا الحدث. الذي حدث في الأرض.

هذا ولا صلة للنجوم وحركاتها بموت أحد ولا بحياته، ولا بسعادته ولا بشقائه، كما لا صلة لها بأحداث الكون. وتقلبات الحياة. والله أعلـــم.

* * *

س: ما تفسير قوله تعالي: في وصف شجرة الزقوم.

﴿ طلعها كأنه رءوس الشياطين ﴾ (الصافات: ٦٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

شبه تعالي طلع شجرة الزقوم، أي ثمارها. وهي شجرة تنبت في قاع جهنم برءوس الشياطين. وهي مجهولة، لأنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر، لذا شبه بها فهو قد بلغ الغاية في قبح المنظر.

وقيل: المراد بالشياطين: نوع من الحيات رءوسها بشعة. قبيحة المنظر وقيل: المراد بالشياطين: نوع من النبات ثمره في غاية القبح. ،والأول أرجح.

والله أعلـــم.

* * *

يقول تعالي: ﴿ إن هذآ أخي له تسعٌ وتسعون نعجةً ولي نعجةٌ واحدةٌ فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب * قال لقد ظلمك بسؤالِ نعجتك إلي نعاجه وإن كثيراً من الخلطآءِ ليبغي بعضهم علي بعض ﴾ (ص: ٢٣، ٢٤).

فهل تزوج سيدنا داود بنساء كثيرات، وفتن بامرأة أحد جنوده كما يقول بعض القصاص في تفسير هذه الآية؟ وإن كان فتن فكيف يكون ذلك مع عصمة الأنبياء؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فقد ذكر بعض المفسرين في تفسير هذه الآيات قصصاً منقولا من كتب أهل الكتاب لا يليق بالنبيين، ولا يتفق مع عصمة المرسلين، ولم يرد عن نبينا ﷺ شئ في هذا الموضوع، وما جاء في القرآن ليس فيه إشارة من قريب أو بعيد لما قالوه.

وإنما الأمر كما قال ابن كثير في تفسيره: إن سيدنا داود كان في محرابه للعبادة وكان قد أمر ألا يدخل عليه أحد ذلك اليوم، فلم يشعر إلا بشخصين قد تسورا عليه المحراب يسألانه الحكم بينهما في قضية. انتهي كلام ابن كثير.

هذا وموضع المؤاخذة هنا بالنسبة لسيدنا داود الذي تشير إليه الآيات بقوله تعالي ﴿ فغفرنا له ذلك ﴾ هو إما تسرع سيدنا داود في الحكم بمجرد سماع حجة أحد الخصمين قبل سماع حجه الخصم الآخر كما هو ظاهر الآيات .

أو موضوع المؤاخذة هو فزعة ممن تسوروا عليه المحراب، وهذا لا يليق بالأنبياء.

وعلي كل فليس هذا من السيئات التي تخدش عصمة الأنبياء، وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين .

وكيف يقبل عقل عاقل ما يقوله البعض في تفسير هذه الآيات. من أن فتنة سيدنا داود إنما كانت بسبب امرأة .

مع أن الآيات السابقة واللاحقة كلها ثناء علي سيدنا داود عليه وعلي نبينا الصلاة والسلام وحض لنبينا ﷺ علي التأسي بسيدنا داود .

فهل يعقل أن يذكر تعالي في سياق مدحه لسيدنا داود ودعوة نبينا للتأسي به ما يشين سيدنا داود، المهم إن هذا إفك مبين ولكن كتب بني إسرائيل مشحونة بما يجرح كرامة النبيين. نسأل الله السلامة والعافية . والله أعلم.

معني الجسد في قوله تعالي ﴿ ولقد فتنا سليمان وألقينا علي كرسيه جسدا ثم أناب ﴾ (ص: ٣٤) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه وبعد :

فلقد اشتملت كتب التفسير في تفسير هذه الآية علي الكثير من النصوص المنقولة من كتب بني إسرائيل، والتي تسمي بالإسرائيليات نسبة لهم، وما كان ينبغي لأئمتنا العظام أن ينقلوا هذه النصوص من الإسرائيليات ليفسروا بها كتاب الله عز وجل «القرآن الكريم» الذي تكفل الله بحفظه، وذكر وعد التكفل بحفظه فيه تأكيد لحفظه. فإن الوثائق الهامة توضع في الخزائن التي لا ينال منها، فوضع وثيقة حفظ القرآن فيه تأكيداً لحفظه .

وتلك الوثيقة هي قوله تعالي ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (الحجر: ٩)

وقد خصه تعالي من بين سائر الكتب المنزلة بالحفظ، لأنه لا يعتريه نسخ من جهة، ولا نبوة ولا رسالة بعد نبينا ﷺ إلي قيام الساعة فوجب حفظ القرآن لذلك كله .

أقول: ما كان ينبغي لأئمتنا العظام أن ينقلوا هذه النصوص الإسرائيلية في كتب التفسير، وخاصة ما كان ينافي عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وعذرهم أنهم ذكروا أسانيد هذه الروايات، وهي تقطع بفساد هذه الروايات. وكان القارئ قديماً من العلماء فهو يميز بين الغث والسمين من الروايات، وبعض المؤلفين في التفسير بعد ذكره لهذه الإسرائيليات يكرّ عليها بالتفنيد والإبطال.

هذا والمراد بالجسد في هذه الآية علي الراجح ما أشار إليه حديث أخرجه البخاري في صحيحه مرفوعا. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ «قال سليمان لأطوفن الليلة علي سبعين امرأة. كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله. فطاف عليهم فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل. والذي نفسي بيده. لو قال إن شاء الله« لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون ». فالمراد بالجسد هو هذا الوليد الشق. وقد ألقت به القابلة حين ولد علي كرسي سيدنا سليمان، وكأنه ابتلي بذلك لتركه قول :إن شاء الله. كما أشار حديثه ﷺ إلي ذلك. وتلك فتنته. والله أعلم.

تفسير قوله تعالي ﴿ يكور الليل علي النهار ويكور النهار علي الليل ﴾ (الزمر: ٥) . واستخدام التكوير هنا دليل علي كروية الأرض ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه وبعد :

ففي ذكر لفظ التكوير إشارة قرآنية إلي كروية الأرض. جاء في القاموس: تكوير الليل علي النهار تغشيته إياه، هذا والتغشية: هي التغطية. قال تعالي ﴿ يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا ﴾ (الاعراف : ٥٤) .

وإنما لم يصرح القرآن الكريم بكروية الأرض كما تصرح بذلك كتب الجغرافيا، أولا: لأن القرآن لم يقصد به أن يكون كتابا لتعليم العلوم المختلفة، وإنما هوكتاب هداية وإرشاد .

قال تعالي ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلي النور بإذنه ويهديهم إلي صراط مستقيم ﴾ (المائدة: ١٥، ١٦) .

وما جاء فيه من علوم كونية فقد جاء للإشارة إلي عظيم قدرته وإبداعه وقيوميته، وللاستدلال بالنشأة الأولي علي النشأه الثانية .

وثانياً: لأن العرب لم يكن عندهم علم بذلك، ومن سنن القرآن أن يخاطب الناس علي قدر عقولهم وما تطيقه. أما وقد تقدم العلم، وثبتت كروية الأرض، فإننا نفهم الآن من الآية أنها أشارت إلي كروية الأرض قبل أن يعرف علماء الجغرافيا ذلك والله أعلم.

* * *

س: قال تعالي ﴿ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأني تصرفون ﴾ (الزمر:٦) من المخاطب في هذه الآية؟

وما هي الأنعام الثمانية ؟ . وما هي الظلمات الثلاث؟.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فالمخاطب في هذه الآية الناس جميعا. فقد خلق الله الناس جميعا من نفس واحدة هي أبونا آدم عليه الصلاة والسلام، مع اختلاف أجناسنا وألسنتنا وألواننا، ثم جعل من آدم أمنا السيدة حواء، خلقها من ضلعه الأيسر من خلفه وهو نائم، فاستيقظ فرآها فأعجبته، فأنس إليها وأنست إليه.

راجع ابن كثير. أول تفسير سورة النساء.

وفي الحديث الصحيح: « إن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شئ في الضلع

أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج» وقال تعالي مشيرا إلي خلق حواء من ضلع آدم عليه وعلي نبينا الصلاة والسلام: ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء** ﴾ (النساء: ١).

ثم امتن المولي عز وجل علينا بخلقه لنا ثمانية أزواج، وهي من الضأن اثنين ، ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين. وهذه النَّعمَ حاجتنا إليها ماسة ملحة، نأكل من ألبانها ولحومها وشحومها،ونستخدم جلودها، وتحمل الإبل أثقالنا إلي بلد لم نكن بالغيه إلا بتعب ومشقة بدونها.

ونعمة ثالثة يمن المولي عز وجل علينا بها، وهي خلقنا في بطون أمهاتنا في ظلمات ثلاث ، هي: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، كذا فسر ابن عباس رضي الله عنهما الظلمات الثلاث.

وقوله تعالي: ﴿ خلقا من بعد خلق ﴾ يشير به إلي الأطوار التي يمر بها الإنسان في رحم أمه: فهو يكون أولا نطفة، ثم يكون علقة، ثم يكون مضغة، ثم يخلق فيكون لحما وعظما وعصبا وعروقا، وتنفخ فيه الروح فيصير خلقا آخر.

ذلكم الخالق العظيم الذي أشار إلي عظمته بالإشارة الموضوعه للبعيد، والبعيد هنا معنوي يشار به للعظمة. هو الله ربكم، أي مربيكم والذي طور خلقكم بقدرته في بطون أمهاتكم، وأنتم وأمهاتكم وآباؤكم عما تفعله القدرة بكم في بطون أمهاتكم غافلون، فهو لهذا و لغيره الملك. لا يشاركه في ملكه أحد، فكيف يتجه لعبادة غيره مخلوق له سبحانه. والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي: ﴿ **أمَّنْ هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه** ﴾ (الزمر: ٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

يعقد المولي عز وجل في هذه الآيه مقارنة بين من يقوم الليل ساجدا وقائما في خشوع حذر عذاب الآخرة ورجاء رضوان الله، وبين من أشرك بالله ويتضح من المقارنة

عدم المشابهة بينهما.

فشتان بين عابد في الذروة من العبادة، وبين مشرك بالله سبحانه.

وحذف من الآية ذكر المشرك، كما حذف نتيجة المقارنة إيجازا للعلم بها، وبدلالة ما قبل الآية وما بعدها.

وفي الآية حث علي قيام الليل، وحث علي أن يجمع المؤمن بين الخوف والرجاء والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي: ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا علي أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ (الزمر: ٥٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلي التوبة، وإخبار بأن الله تعالي يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها. وتوبة الكافر بإسلامه وعمل الصالحات، وتوبة الفساق بترك المعاصي، والإقبال علي الطاعات، ورد الحقوق لأصحابها، ومع الندم علي ما فات من عصيان.

والله أعلم.

* * *

س: يقول تعالي: ﴿ فريق في الجنة وفريق في السعير * ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته ﴾ (الشوري: ٧، ٨).

فلماذا لم يجعل الله الناس كلهم سواسية ويهديهم إلي صراط مستقيم؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فلقد سألت يا أخي عن أمر عظيم إنك تسأل عن القضاء والقدر وحكمة الله تعالي فيما قضاه وقدره تحار العقول فيها ،ولا سبيل لمثلي للإجابة علي سؤالك نعم

هناك أجوبة قد تقال في هـذا المقام، لكن لا يتسع لإدراكها وفهمـها الخاص والعام، وإنما يدركها خاصة الخاصة أما ما يسع الناس جميعا جوابا عن سؤالك فهو أن الله يخلق ما يشاء ويختـار وأنه تعالي فـعال لما يريد، لا يسأل عـما يفعل وهم يسـألون. فاعتـقد أن الحكمة في فعله تعالي وإن خفيت علي الكثيرين . والله أعلـم .

* * *

تفسير قوله تعالي ﴿ قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربي ﴾ (الشوري: ٢٣)

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله والصـلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصـحبه ومن والاه وبعد :

فقد وردت أراء متعددة في تفسير هذه الآية المباركة وروي البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله تعالي ﴿ إلا المودة في القربي ﴾ فقال سعيد بن جبير: قـربي آل محمد. فقال ابن عبـاس: عجلت إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة».

وروي الطبري بسنده عن ابن عـباس رضي الله عنهما قـال: قال لهم رسول الله ﷺ :لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودوني في نفسي لقرابتي منكم. وتحفظوا القرابة بيني وبينكم ».

وهذان النصان يصـرحان بأن مـعني الآية دعوة المشركين مـن أهل مكة إلي مودة رسول الله ﷺ وحفظ القرابة التي بينهم وبينه، بمعني عـدم إيذائه وإن لم يسلموا مراعاة لحق القرابة بينه وبينهم .

قال ابن كثيـر في معني الآية: قل يا محمد لهؤلاء المشـركين من كفار قريش: لا أسألكم علي هذا البلاغ والنصح مالا تعطونيه، وأنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عني، وتذروني أبلغ رسالات ربي، فإن لم تنصروني فلا تؤذوني لما بيني وبينكم من القرابة .

وروي الإمام أحمد بـسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « لا أسألكم علي ما آتيتكم من البينات والهدي أجرا، إلا أن توادوا الله تعالي، وأن تقربوا إليه بطاعته » قال ابن كثير: أي إلا أن تعملوا بالطاعة التي تقربكم عند الله زلفي. وهذا النص

يصرح بالرأي الثاني في معني الآية .

والقول الثالث في معني الآية هو ما حكاه البخاري وغيرة رواية عن سعيد بن جبير أنه قال: معني ذلك. أن تودوني في قرابتي أي تحسنوا إليهم وتبروهم .

قال ابن كثير: والحق تفسير هذه الآية بما فسرها به حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما. كما رواه عنه البخاري .

ولا ننكر الوصاة بأهل البيت. والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم فإنهم الذرية الطاهرة .

وصدق ابن كثير فيما قال: ولكني أري أن الآية مع كون سبب نزولها تذكير المشركين بقرابة رسول الله حتي يكفوا عن أذاه. إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلفظها العام يتناول المسلمين في كل زمان ومكان. ومن هنا فهم ابن جبير ذلك .

ونعم ما فهم، ويسنده في فهمه هذا ما جاء من أحاديث شريفة صحيحة تؤكد حق آل البيت علي المسلمين جميعاً. فلقد جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال في خطبته بغدير خم « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، وإنهما لن يفترقا حتي يردا علي الحوض »وروي البخاري عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: ارقبوا محمدا ﷺ في أهل بيته، وفي الصحيح أن الصديق رضي الله عنه قال لعلي رضي الله عنه: والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي. وقال عمر بن الخطاب للعباس رضي الله عنهما: والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم لأن إسلامك كان أحب إلي رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب.

رزقنا الله وإياكم محبته سبحانه ومحبه حبيبه وآل بيته الأطهار . والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي: ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ﴾ (الزخرف: ٣٣-٣٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه وبعد :

فهذه الآيات الكريمة مرتبطة بما فيها من آيات كريمات، فهي مرتبطة بقوله تعالي : ﴿ **وقالوا لولا نزل هذا القرآن علي رجل من القريتين عظيم* أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخْريا ورحمة ربك خير مما يجمعون** ﴾ (الزخرف: ٣١، ٣٢) وذلك أن المشركين أنكروا نزول الوحي علي رسول ﷺ لأنه لم يكن أكثرهم مالا كما أنه ليس زعيما فيهم، وقالوا هلا أنزل القرآن علي عظيم من عظماء مكه أو الطائف، ظانين أن مؤهلات الرسالة هي المال والجاه والسلطان، وجهلوا أن للرسالة مؤهلات أخري قد خص بها رسولنا ﷺ، وصدق الله إذ يقول مشيرا إلي ذلك ﴿ **الله أعلم حيث يجعل رسالته** ﴾ (الأنعام: ١٢٤).

فيبين لهم المولي عز وجل أنه وحده الذي قسم بين الناس حظوظهم وأنه وحده الذي فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم وغير ذلك من القوي الظاهرة والباطنة، وأنه فعل بهم ذلك ليتنظم الكون باحتياج الناس بعضهم لبعض، ولو تساوي الناس في المواهب والملكات والمال والجاه وغير ذلك لاختل نظام الحياة.

وفهمهم المولي إلي أن المال والجاه والسلطان كل ذلك لاوزن له عند الله، وأن رحمة الله بخلقه بابتعاث المصطفي ﷺ وما يتبع ذلك في الفوز خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياه الدنيا ثم أكد هذا المعني بقوله تعالي ﴿ **ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين** ﴾.

مؤكدا هو أن المال والسلطان اللذين أغتر بهما مشركو مكه حتي قالوا ﴿ **لولا نزل هذا القرآن علي رجل من القريتين عظيم** ﴾.

ومبينا أن المال لهوانه، لولا أن يؤدي الإنعام به علي الكفار إلي أن يعتقد كثير من الجهلة أن إعطاءنا المال لهم دليل علي محبتنا إياهم ، فيجتمعوا علي الكفر لأجل المال، لجعل لبيوت من يكفر بالرحمن سقفا وسلالم وأبوابا من فضة وذهب، وجعل لهم فيها سرراً عليها يتكئون من فضة وذهب أيضا فالزخرف هو الذهب، ولكنه تعالي لم ينعم علي الكفار بذلك، حتي لا يضل الناس جميعا.

ثم بين تعالي بعد ذلك أن كل ما ذكره من متع الدنيا لاوزن له عند الله بقوله: ﴿ **وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا** ﴾ أي من الدنيا الفانيه الزائلة الحقيرة عند الله تعالي. قال ﷺ: « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقي منها كافرا شربة ماء أبدا» رواه الترمذي وابن ماجه. وقال الترمذي حسن صحيح. ثم بين أن الكفار وإن شاركوا المؤمنين في متاع الحياة الدنيا، فإن متاع الآخرة خالص للمؤمنين . فقال عز من قائل: ﴿ **والآخرة عند ربك للمتقين** ﴾ أي لهم خاصة لا يشاركهم فيها الكافرون. والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي: ﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** ﴾ (الحجرات: ١٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا قرن الإسلام بالإيمان في الذكر كما في قوله تعالي: ﴿ **إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات** ﴾ (الاحزاب: ٣٥) وقوله ﷺ« اللهم لك أسلمت وبك آمنت» كان المراد من أحدهما غير المراد من الآخر. وكان معناها كما قال ﷺ: «الإسلام علانية والإيمان في القلب».

وإذا انفرد أحدهما شمل معني الآخر، فيكون لفظ الإسلام يدل علي الإيمان والإسلام، ولفظ الإيمان يدل علي الإسلام والإيمان كذلك.

فإذا قيل هذا مسلم. فمعناه. مسلم ومؤمن.

هذا وقوله تعالي: ﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** ﴾ ذكر فيه الإيمان والإسلام، وأثبت الله للأعراب الإسلام دون

الإيمان، لأنهم لم يستحكم الإيمان في قلوبهم بعد فدلت الآية علي أن الإيمان غير الإسلام، وأن الإيمان أخص من الإسلام فالمؤمنون أقل من المسلمين.

ويدل علي أن الإيمان غير الإسلام حديث جبريل عليه السلام. فلقد سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان فترقي من الإسلام إلي الإيمان ثم إلي الإحسان.

وقد فسّر رسول الله ﷺ الإسلام في حديث جبريل بأركان الإسلام، الخمسة الشهادتين والصلاة والصيام والزكاة والحج و،فسر الإيمان بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره، وفسر الإحسان بأن يعبد الإنسان ربه كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن ربه يراه.

وهكذا فديننا مشتمل علي مراتب ثلاثة أدناها الإسلام،ثم الإسلام مع الإيمان ثم الإسلام مع الإيمان والإحسان. فكل درجة تستلزم سابقتها، فلا يكون إحسان بدون إيمان، ولا يكون إيمان بدون إسلام.

ولكن قد يوجد إسلام فقط وليس معه من الإيمان ما يستحق إطلاق اسم الإيمان عليه. ،كما في آيتنا هذه، وقد يوجد الإسلام والإيمان وليس معهما الإحسان، والكامل من اتصف بالإسلام والإيمان والإحسان، فديننا يشتمل علي هذه الدرجات الثلاث، وبعضها أعلي من بعض كما سمعنا.

وتصور معي حال مؤمن قد كمل إيمانه بما ذكرناه من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره.

أتري إنسانا مثل هذا يحس بشقاء في هذه الدنيا وقد آمن بالله وحده خالقا رازقا، وآمن بقضائه نافذا، فآمن بأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه. فهو يعيش في هذه الحياة مطمئن النفس هادئ البال. لايخاف مزاحمة ولا يشقي بمنافسة.

وأعلي منه مقاماً الإحسان، وهو مقام يثمر فيه الإيمان ثمراته، فيرتفع بصاحبه، فهو يعبد الله كأنه يراه، فيتلذذ في عبادته، بعبادته، ويشتغل بمولاه عمن سواه وناهيك بما يتوارد عليه آنذاك من ألطاف مولاه. والله أعلم.

تفسير قوله تعالي: ﴿ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءَك فبصرك اليوم حديد ﴾ (الآية:٢٢) وما هو اليوم الذي يكشف فيه غطاء الوجه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه وبعد :

فهذه الآية مرتبطه بآيات قبلها فلا تفهم إلا بما قبلها. من قوله تعالي: ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد * ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد * وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ (ق:١٩-٢١).

هذه الآيات المتقدمه هي المشار إلي ما فيها بقوله تعالي: ﴿ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾.

ومعني هذه الآيات مجتمعة أن الموت يكشف عما غاب عن الإنسان من أمور الآخرة . والقبر أول منازل الآخرة، وبالموت يدخل الإنسان أول منازل الآخرة، فينكشف له ما كان غائبا عن مشاهدته مما جاء به القرآن والسنة. والخطاب في الآية لكل إنسان ولا مفر من الموت ولامهرب منه، مهما تحصن الإنسان منه روي الطبراني في المعجم الكبير بسنده عن سمرة قال: قال رسول اللهﷺ:« مثل الذي يفر من الموت مثل الثعلب تطلبه الأرض بدَين. فجاء يسعي حتي إذا أعي وأسهر دخل جحرة. ،قالت له الأرض: دَيْني يا ثعلب فخرج وَله حصاص. فلم يزل كذلك حتي تقطعت عنقه ومات».

وفي القبر عذاب الكفار والعصاه، ونعيم المسلمين الصالحين. لقوله ﷺ:« القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» فيشاهد الميت هذا كله، وقد كان غافلا عنه.

ثم ينفخ إسرافيل في الصور نفخة الفزع، ثم نفخة الصعق، ثم نفخة البعث، وذلك يوم القيامة، وهو منا قريب قال ﷺ :« كيف أنعم وصاحب القَرْن قد التقم القرن، وحني جبهته، وانتظر أن يؤذن له ».

وعقب نفخة البعث يحشر الخلائق إلي أرض المحشر مع كل إنسان مَلَك يسوقه

إلي المحشر ومَلك يشهد عليه بأعماله.

والإنسان في دنياه غافل عن كل هذا الذي يتصل بأمور الآخرة التي تبدأ بالنسبة لكل إنسان بموته. وبالموت كشف عنه غطاء الغفلة وقوي بصره، وعاين ما كان يسمعه من أمور الآخرة، والمسلم والكافر في تلك المعاينة لأمور الآخرة سواء.

ولكن شتان ما بين مسلم صالح، وكافر، وعاص. فالمسلم الصالح في روضات الجنان بين الحور والولدان، والكافر والعاص في جهنم، يقول كل منهما: ﴿رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت﴾ ويرد عليه بقول الله سحانه: ﴿كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلي يوم يبعثون﴾. والله أعلم.

تفسير قوله تعالي: ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد * لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ (ق: ٢١، ٢٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

في هاتين الآيتين. والآيتين قبلهما حديث عن منازل الآخرة. وفيها يكاشف الإنسان بحقائق الأمور، ويري عيانا ما كان يعرفه بالسماع فحسب، يكاشف بذلك المسلم والكافر، والبر والفاجر. والقبر أول منازل الآخرة، فمن مات فقد قامت قيامته، وفيه: بل قبيل الوفاة، يكاشف الإنسان بما غاب عنه فيري منزله، ويعرف مستقره، يشير إلي ذلك قوله تعالي: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق. ذلك ما كنت منه تحيد﴾ (ق: ١٩) وسكرة الموت: شدته، والحق الذي جاءت به: هو انكشاف حقائق الأمور.

فينكشف الطلاء الخادع عما يصرف عن الله من متع الدنيا وشهواتها، فيري مايستحسن مما يصرف عن الله في غاية القبح، وما تنفر منه النفوس مما يقرب إلي الله في غاية الجمال، وما تحيد عنه النفوس. هو الموت، فإنها تنفر منه وهو كائن لا بد منه.

ثم تنتقل الآيات لتتحدث عن منزل آخر من منازل الآخرة، إنه القيامة الكبري عندما ينفخ إسرافيل عليه السلام نفخة البعث، وهنا تهب الخلائق من القبور، وتحشر كل نفس معها سائق من الملائكة يسوقها إلي أرض المحشر، وشهيد من الملائكة كذلك يشهد عليها أولها بما عملته في الدنيا.

وهنا ينزاح عن الإنسان آخر أقنعة الغفلة، فإذا كان بالموت انتبه من غفلة الدنيا

واستيقظ، كما قيل الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا .

فإنه يوم القيامة الكبري تنزاح عنه بقية أقنعة الغفلة ويصدق فيه قوله تعالي: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ .

فإن الناس غافلون عن إدراك ما يلاقون يوم القيامة، وفي الحديث الصحيح.

«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» ويكشف غطاء الغفلة عن الإنسان يوم القيامة بما يعاينة من مواقف ذلك اليوم، يصبح الخبر عيانا، والبصر حديداً قوياً، فما كان يعرفه المسلم بطريق الوحي سماعاً يراه يوم القيامة عياناً، وما ينكره الكافر من قيام الساعة يري نفسه وهو موافق ذلك اليوم يعاين ما أنكره، وأصبح الأمر الذي كان ينكره حقيقة ماثلة أمام عينيه، فالبصر حديد، من المسلم والكافر علي السواء. والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي﴿ يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ﴾ (ق: ٣٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

يخبر عز من قائل. أنه سيقول يوم القيامة لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد وذلك لأن الرب وعدها أن سيملأها من الجنّة والناس أجمعين في قوله: ﴿ لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ (هود:١١٩) (السجدة:١١٣) فيأمر سبحانه بمن يأمر به إليها فيُلقي فِيها وهي تقول: هل من مزيد. أي هل بقي شئ من العصاة تزيدوني.

قال ابن كثير: هذا هو ظاهر السياق. وعليه تدل الأحاديث النبوية الشريفة. روي البخاري عند تفسير هذه الآية بسنده عن أنس عن النبي ﷺ قال: « يلقي في النار وتقول هل من مزيد حتي يضع قدمه فيها فتقول: قط قط. أي حسبي حسبي.»

وروي البخاري بسنده أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال. قال رسول الله ﷺ: « تحاجت الجنةَ والنار. فقالت النار: أُوثِرتُ بالمتكبرين والمتجبرين. وقالت الجنة: مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم. قال الله عز وجل للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي. ولكل واحدة منكما ملئها. فأما النار فلا تمتلئ حتي يضع رجله فيها فتقول قط

قط أي حسبي حسبي فهنالك تمتلئ وينضم بعضها إلي بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقا آخر ».

وهناك رأي آخر في الآية. هو أن قوله تعالي: ﴿ هل امتلأت ﴾ إنما هو بعدما يضع عليها قدمه فتنزوي. وتقول حينئذ: هل بقي في مزيد يسع شيئا. أي لم يبق فيّ مزيد يسع شيئا آخر. قال ابن عباس: وذلك حين لا يبقي فيها موضع يسع إبرة.

فهل يتنبه لهول ذلك اليوم متنبه يتعظ بهذا الكلام متعظ. اللهم فقهنا في ديننا ولا تكلنا إلي أنفسنا طرفه عين ولا أقل من ذلك. والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي: ﴿ والطور * وكتاب مسطور * في رق منشور * والبيت المعمور * والسقف المرفوع * والبحر المسجور * إن عذاب ربك لواقع * ماله من دافع ﴾ (الطور: ١ـ٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

يقسم المولي عز وجل بما شاء من مخلوقاته، ولا يقسم الناس إلا بالله أو اسم من أسمائه أو صفة من صفاته عز وجل لقوله ﷺ: « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » والمولي هنا يقسم بطائفة من مخلوقاته الدالة علي قدرته العظيمة علي أن عذابه واقع بأعدائه، وأنه لا دافع له عنهم. وقد بدأ هذه الطائفة المقسم بها بالطور. قال ابن كثير: وهو الجبل الذي تكون فيه أشجار. مثل الذي كلم الله عليه موسي. وهو المعروف عندنا بجبل الطور بسيناء.

وعطف عليه القسم قوله: ﴿ وكتاب مسطور ﴾ قيل: هو اللوح المحفوظ وقيل: هو جميع الكتب المنزلة وهو الراجح. ويرجحه كون الكتاب في رق منشور.

ثم عطف في القسم البيت المعمور، وهو كما جاء في الصحيحين يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه قال ﷺ: في حديث الإسراء بعد مجاوزته إلي السماء السابعة: « ثم رفع إلي البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه » يعني يتعبدون فيه. ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم. فالبيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة. قال ابن كثير: ولهذا وجدا إبراهيم الخليل

مسندا ظهره إلي البيت المعمور لأنه باني الكعبة. والجزاء من جنس العمل وهو بحبال الكعبة، وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها. ويصلون إليه. والذي في السماء الدنيا يقال له بيت العزة.

﴿ والسقف المرفوع ﴾ (الأنبياء: ٣٢) هي السماء. قال تعالي: ﴿ وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون ﴾ (الأنبياء: ٣٢).

وأما البحر المسجور فقد اختلف في المراد منه قال الجمهور هو هذا البحر وأنه يوقد يوم القيامة نارا. كقوله تعالي: ﴿ وإذا البحار سجرت ﴾ (التكوير: ٦) أي أضرمت نارا. وقيل المسجور: المملوء. ولا تعارض بين الرأين فهو مملوء اليوم. ويضرم نارا يوم القيامة.

والمقسم عليه هو وقوع عذاب الله بالكافرين وعدم استطاعة أحد دفعه عنهم وهذه الآية وإن كانت في شأن الكافرين فقد قال السادة العلماء:

إن كل آية وعيد في شأن الكافرين تنسحب بذيلها علي عصاة المؤمنين، ولذلك يخاف المؤمن من كل وعيد، وأخوف الناس من الله أعرفهم بالله. قال تعالي: ﴿ إنما يخشي الله من عباده العلماء ﴾ (فاطر: ٢٨).

ولذا فقد ورد أن سيدنا عمر سمع هذه الآيات فمرض حتي عاده الناس شهراً روي الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا بسنده عن جعفر بن زيد العبدي قال: خرج عمر يَعسُّ المدينة ذات ليلة فمر بدار رجل من المسلمين، فوافقه قائما يصلي. فوقف يستمع قراءته فقرأ هذه الآيات فقال عمر: قسم ورب الكعبة حق فنزل عن حماره. واستند إلي حائط فمكث مليا. ثم رجع إلي منزله فمكث شهرا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه. رضي الله عنه. والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي: ﴿ والنجم إذا هوي * ما ضل صاحبكم وما غوي* وما ينطق عن الهوي* إن هو إلا وحي يوحي ﴾ (النجم: ١-٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

يقسم المولي عز وجل بالنجم إذا هوي، وقد اختلف في المراد بذلك فقيل: المراد

به الثريا إذا سقطت مع الفجر. وقيل المراد به النجم القرآني إذا أنزل علي الرسول ﷺ والنجم القرآني: هو ما ينزل من القرآن الكريم علي الرسول ﷺ دفعة واحدة.

يقسم المولي بذلك. وله سبحانه أن يقسم بما شاء وليس لنا أن نقسم إلا بالخالق جل وعلا. قال ﷺ: « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت» يقسم بذلك علي أن المصطفي ﷺ للحق متّبع، فليس بضال عن طريق الحق جهلاً منه به، وليس بغاو يعرف طريق الحق ويتعمد تركه.

فإن الذي يترك الحق إما جاهل به. وإما معاند له، وكلا الأمرين منتف عنه ﷺ وسماه القرآن صاحباً لهم مع كفرهم، لينبههم إلي أنه واحد منهم يشاركهم أنسابهم ليحرك القرآن عاطفة القرابة في قلوبهم، حتي يتركوا الجمود علي الكفر عنادا وركز القرآن علي نفي لون من الضلال معين عنه بعد أن نفي عنه الضلال كله بقوله: ﴿وما ينطق عن الهوي * إن هو إلا وحي يوحي ﴾ فالرسول ﷺ. لا يستسلم لهواه فيما ينطق به أبدا مهما اختلفت عليه الظروف والأحوال.

روي الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شئ أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش فقالوا إنك تكتب كل شئ تسمعه عن رسول الله ﷺ ورسول الله بشر يتكلم في الغضب. فأمسكت عن الكتاب. وذكرت ذلك لرسول الله ﷺ. فقال: « اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق»

ومن هذا نعلم أن رسول الله ﷺ معصوم أيضا فيما ينطق به من غير القرآن وتلكم هي السنة النبوية المطهرة.

فإن السنة النبوية المطهره جزء من الوحي أيضا. قال ﷺ: « لقد أوتيت القرآن ومثله معه» وقال ﷺ: «يوشك الرجل متكئا علي أريكته يُحدِّثُ بحديث من حديثي. فيقول بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل فما وجدناه فيه من حلال استحللناه. وما وجدناه فيه من حرام حرمناه ألا وإن ما حَرَّم رسول الله ﷺ مثلُ ما حَرَّم الله رواه ابن ماجه.

هذا والسنة محفوظة بحفظ القرآن، فهي جزء من الوحي لا يفهم القرآن بدونها، فهي شارحة القرآن. والإسلام قرآن وسنة ومنكر أحدهما كافر. إذا كيف يصلي ويصوم ويحج ويزكي من ينكر سنة الرسول ﷺ، إن منكر السنة كافر حيث يريد اقتلاع

الإسلام من أصوله لا يختلف عن منكر القرآن في شئ. والله أعلـــم.

تفسيـر قوله تعالي: ﴿ ألا تزر وازرة وزر أخـري * وأن ليس للإنسـان إلا مـا سعي﴾ (النجم:٣٨،٣٩). هذه سنة ربانية عامة، وقانون إلهي لا يتخلف، به جاء الإسلام، ولم يخل منه دين سماوي قبل الإسلام.

وهذه الآيات التي نحن بصددها تؤكـد ذلك فهي مسبوقـة بقوله تعالي: ﴿ أم لم ينبأ بما في صحف موسي* وإبراهيم الذي وفي ﴾ (النجم:٣٦،٣٧).

وهو قانون عـادل أولا، ويأخذ بيد الناس إلـي طاعة المولي عز وجل ثانيـا آخذاً حثيثا، حيث لا سبيل لسعادة الإنسان إلا بما جنته يداه من خير. ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعي ﴾ كما أنه لا سبيل لشقوته إلا بما اجترحته يداه من الشر.

والحساب دقيق. ﴿ فمـن يعمل مثقـال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثـقال ذرة شراً يره ﴾ (الزلزلة:٧،٨).

غير أن البعض تصادفه نصوص نبوية كـريمة يخيل إليه معها أنها تناقض هذا المبدأ الصادق من ذلك قوله ﷺ: من سن سنةً حسنةً فعـمل بها كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها لا يـنقص من أجورهم شيئًا، ومن سن سنة سـيئة فعُمل بها كـان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينْقَص من أوزارهم شيئًا».

وبالتـأمل في هذا الحديث النبـوي الكريم لا نراه مناقضـاً للآية الكريمة غـاية ما هنالك أن فيه زيادة تفصيل للآية، فهـو يُبيّن أن من عمل الإنسان الذي يؤجر عليه عمل الآخرين الذي تسبب فيـه، تشجيعا علي نشر الخيـر ولا ينقص ذلك من أجور العاملين شيئاً.

وأن الفعل القبيح الذي يتعـدي أثره إلي الآخرين ينال فاعله وزره ومثل أوزار من اتبعوه فأضلهم. وذلك للتنفير من فعل السوء. والله أعلـــم.

* * *

تفسير قوله تعالي ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ (الرحمن:٤٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه وبعد :

فقد نزلت هذه الآية وما بعدها في سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وهذه الآية وما بعدها من آيات إلي أخر سورة الرحمن تحدثنا أن الله عز وجل قد خلق أربع جنان روي البخاري في صحيحه بسنده عن أبي بكر عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال:« جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلي ربهم عز وجل إلارداء الكبرياء علي وجهه في جنة عدن وأخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود.

وروي حماد بسنده عن أبي موسي. قال حماد: ولا أعلمه إلا قدر رفعه. أي أخذه الراوي أبو موسي عن رسول الله ﷺ: في قوله تعالي:﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ وفي قوله:﴿ ومن دونهما جنتان ﴾ جنتان من ذهب للمقربين، وجنتان من وَرِقٍ لأصحاب اليمين » صدق رسول الله ﷺ.

والذي يخاف مقام ربه هو الذي يجتنب ما حرم الله. ويؤدي فرائض الله. والجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن وقد رأي النبي ﷺ سدرة المنتهي، ورأي عندها جنة المأوي. كما في الصحيحين في قصة الإسراء وفيها:« ثم انطلق بي جبريل حتي أتي سدرة المنتهي. فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال : ثم دخلت الجنة.»

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال:« إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي. إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتي يبعثك الله يوم القيامة».

وفي حديث البراء بن عازب عن رسول الله ﷺ:« ينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة. وافتحوا له بابا إلي الجنة. قال: فيأتيه من رَوْحها وطِيبها».

وكل ما ورد فيه ذكر الجنة بإجمال فنفصيله في آيات سورة الرحمن فهما أربع

جنان بنص القرآن.

ويفهم من جملة النصوص القرآنية والنبوية أن هذه الجنان في السموات العلا والجنة والنار لا تفنيان بفناء الخلق عند النفخة الثانية في الصور. وقوله تعالي: ﴿كلُّ شيءٍ هالك إلا وَجْهَهُ﴾ (القصص:٨٨) قال العلماء: المراد: كل شئ مما كتب الله عليه الهلاك والفناء هالك. والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء وكذلك عرش الرحمن فإنه سقف الجنة. راجع في ذلك شرح العقيدة الطحاوية. والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبيرٌ ﴾ (المجادلة:١١).

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذه الآية الكريمة يعلمنا المولي سبحانه خلقا من الأخلاق العالية هو التفسح في المجالس، أي التوسع فيها للقادم بحيث يجد مكانا يجلس فيه وذلك يغرس المودة والمحبة في النفوس، وإذا اتسعت الصدور للقادم فالمجالس أكثر سعة، فبين كل اثنين يمكن جلوس الثالث. وبعد أن أمرنا عز وجل بهذا الخلق الكريم ذكر لنا من مثوبته عليه ما يغرينا به ويجعلنا نتسابق إليه، وقد جعل المثوبة من جنس العمل. قال تعالي: ﴿فأفسحوا يفسح الله لكم﴾

: قال الشيخ النسفي: والوعد مطلق يشمل كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك.

فيا طلاب السعة سارعوا إلي أسبابها. وهنا دقيقة هي الإشارة إلي السعة في المكان، ولا يكون ذلك إلا بخرق العادة فإذا لم تكف التوسعة لجلوس القادمين، وكان فيهم من ينبغي تكريمه لسنه أو فضله فالأدب أن يترك بعض الجالسين مجلسه له فيترك صغير السن مجلسه لكبير السن، ويترك المفضول مجلسه للفاضل لعلمه أودينه، فإن لم يفعل ذلك الصغير والمفضول فللرئيس وكبير القوم أن يأمرهم بذلك، فلقد أقام ﷺ بعض الجالسين للبدريين إكراماً لهم لرضوان الله عليهم.

ومن أدبه ﷺ العالي أنه لا يقيم أحداً لنفسه، فقد كان يجلس حيث ينتهي به المجلس، وينهي أن يقيم الرجلُ الرجل من مجلسه ليجلس هو فيه. عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « لا يقيم الرجلُ الرجلَ من مجلسه فيجلس فيه ، ولكن تفسحوا وتوسعوا » والله أعلم.

تفسير قوله تعالي: ﴿ **يا أيها النبي لم تحرم مآ أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم** ﴾ (التحريم:١)

بسم الله الرحمن الرحيم

اختلف في سبب نزول صدر هذه السورة، فقيل: نزلت في تحريمه ﷺ علي نفسه جاريته السيدة مارية أمّ ولده سيدنا إبراهيم عليه السلام عن ابن عباس قال: قلت لعمر بن الخطاب: من المرأتان اللتان قال الله تعالي فيهما ﴿ **إن تتوبا إلي الله فقد صغت قلوبكما. وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير** ﴾ (التحريم،٤) قال: عائشة وحفصة فقد اختَلي ﷺ بجاريته في بيت حفصة وفي نوبتها. فوَجَدَتْ حفصة. فقالت: يا نبي الله لقد جئت إليَّ شيئا ما جئت مثله إلي أحد من أزواجك في يومي وعلي فراشي. قال: « ألا ترضين أن أحرمَها فلا أقربَها. ؟ قالت: بلي. فحرمها. وقال لها: « لا تذكري ذلك لأحد » فذكرته لعائشة. فأظهره الله عليه. وأنزل قوله تعالي: ﴿ **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم** ﴾ فكفر ﷺ عن يمينه. وعاد إلي جاريته. رواه ابن جرير بإسناده وقال ابن كثير: والصحيح أن ذلك كان في تحريمه العسل. فقد روي البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان النبي ﷺ يشرب عسلا عند زينب بنت جحش. ،يمكث عندها. فتواطأت أنا وحفصة علي أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير. إني أجد منك ريح مغافير. فدخل علي إحداهما فقالت له ذلك.

فقال: لا. ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش. فلن أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحد.

وهكذا نجد أنفسنا أمام روايتين في سبب النزول. وإحداهما في الصحيح. ولذا رجحها ابن كثير. والأرجح لديّ الجمع بين الروايتين . لأن الأولي تعددت طرقها

فتقَوَّتْ بذلك. ولا مانع من الجمع بين الرواتيين.

فقد تكون الحادثتان متقاربتين في الزمن. وفيهما معا نزل صدر هذه السورة.

هذا والمغافير: جمع شجر اسمه العرفط. معروف بالجزيرة العربية وريح هذا الصمغ كريهة. وكأنهما يشيران بذلك إلي أن العسل رعي نحله شجر العرفط ذي الريح الكريه. فظهر أثر ذلك في العسل.

وهما يعرفان عنه ﷺ شدة كراهيته لكل ذي ريح كريه وإنما فعلا ذلك. غيرة من أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش، حيث كان عندها العسل الذي يحبه المصطفي ﷺ، وليس عندهما عسل كذلك.

وغَيْرةُ الضرائر مركوزة في الفطر، ولكن آثارها تختلف من امرأة لأخري وأمهات المؤمنين رضوان الله عليهن في أعلي الدرجات.

ولكن ذلك لا يمنع من بقاء آثار الغيرة عليه ﷺ ويحاسبن علي آثارها الضارة أيضا كما هو وارد في السورة ويتوب الله علي من تتوب منهن. والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي﴿ **يا أيها الذين آمنوا قُوآ أنفسكم وأهليكم نارا.وقودها الناس والحجارة** ﴾ (التحريم:٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

ينادي المولي عز وجل عباده المؤمنين .وهو منهم قريب.للإشارة إلي أهمية ما نودوا من أجله.وينادي المؤمنين خاصة لأنهم أحباب الله.وهو إنما يناديهم لما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم.إنه يناديهم ليأمرهم بوقاية أنفسهم وأهليهم .من نار وقودها الناس والحجارة .

وفي هذه الآية إشارة إلي أصلين عظيمين من أصول التربية الإسلامية،أما الأصل الأول فهو أن علي من يدعو غيره إلي الخير وينهاه عن الشر أن يبدأ بنفسه حتي يكون لكلامه في نفس المدعو الأثر المنشود فإن النفوس تزدري كلام إنسان لا يطابق قوله

فعله، وتنشرح غالبا إذا صفت من لؤم الطبع لكلام من طابق فعله قوله .

وفي آيتنا هذه يأمر المولي عز وجل المؤمن أن يقي نفسه أولاً من النار بفعل الطاعات وترك المحرمات، وعليه بعد ذلك أن يقي أهله .

وهذا هو الأصل الثاني من أصول التربية، وهو وجوب تربية الصغار علي الكبار، وإن حق الصغار علي الكبار في التربية مثل حقهم عليهم في النفقه .

وأن التربية لا تقتصر علي ظاهر من زخرف المدنية الحديثة، كتعليمهم آداب المجالس والأكل والشرب، ونحو ذلك .

بل تمتد التربية التي يأمر الشارع بوجوبها علي الكبار للصغار إلي كل ما يصلح دينهم ودنياهم. يقول تعالي ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾

ونجد في الآية ذكر الحقائق مجردة. فالمولي عز وجل يصف لنا النار التي أعدها للعصاه، وصفا لا مبالغة فيه ولا خيال معه، إنه وصف الله الحكيم الخبير، إنها نار وقودها الناس والحجارة، قيل في ذلك: وقودها الأصنام وعابدوها. وقيل: بل هي حجارة من كبريت . وأي ذلك كان فهي نار لا محالة بالغة الغاية في الشدة، حيث تشتعل الحجارة فيها كما تشتعل أجسام المعذبين أيضاً.

وقد جمعت تلك النار إلي جانب شدتها لونا آخر من العذاب هو أن المكلفين بها ملائكة غلاظ شداد أخلاقهم شديدة، لا تأخذهم رحمة بالعصاة، وأجسامهم قوية، وهؤلاء الملائكة هم زبانية جهنم. ومن خصائص الملائكة عامة. ويدخل فيهم خزنة النار أنهم لا يعصون الله ما أمرهم. ويفعلون ما يؤمرون . والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي ﴿ **يوم يكشف عن ساق ويدعون إلي السجود فلا يستطيعون * خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلي السجود وهو سالمون** ﴾ (القلم: ٤٢، ٤٣) . وما المراد بالساق هنا ؟ .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه وبعد :

فإنه لما ذكر الله تعالي: أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم. بين متي يقع ذلك. فقال تعالي﴿ **يوم يكشف عن ساق ويدعون إلي السجود فلا يستطيعون** ﴾. يعني يكون ذلك يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام.

وقد روي البخاري في صحيحه بسنده عن أبي سعيد الخدري قال سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقي من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعه فيذهب ليسجد فيعود طهره طبقا واحدا» وقد ورد في تفسير الكشف عن الساق عن أئمة التفسير روايات كثيرة. قال ابن عباس: هو يوم القيامة يوم كرب وشدة. وفي رواية أخري عنه. في تفسير ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾ قال: عن أمر عظيم. وفي رواية أخري عن ابن عباس أيضا: هي أشد ساعة تكون في يوم القيامة.

والروايات كلها عن ابن عباس تدور حول أن الكشف عن الساق كناية عن الشدة والكرب في يوم القيامة الذي يشمر فيه عن الساعد والساق، ويشتد الكرب، ويدعي هؤلاء المتكبرون إلي السجود فلا يستطيعون السجود، ﴿ **خاشعةً أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلي السجود وهم سالمون** ﴾ أي لا يستطيعون السجود عندما دُعوا إلي السجود في الآخرة، فسجد المؤمنون وعوقب الكفار والمنافقون بعدم استطاعة السجود في الآخرة إذا تجلي الرب عز وجل،بل يعود ظهر أحدهم طبقا واحدا، كلما أراد أحدهم أن يسجد خَرَّ لقفاه عكس السجود، كما كانوا في الدنيا بعكس ما عليه المؤمنون، وتخشع أبصارهم وتعلوها ذلة ترهقهم في الآخرة عندما يعجزون عن السجود، والأبصار الخاشعة والذلة المرهقة في الآخرة، هما المقابلان للهامات الشامخة والكبرياء المنفوخة في الدنيا، عوقبوا بنقيض ما كانوا عليه في الدنيا.

وبينما هم في هذا الكرب يجيئهم التهديد الذي يزعج القلوب. وهو قوله تعالي: ﴿ **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث** ﴾ (القلم: ٤٤) وهو تهديد مزلزل، فالجبار القهار مالك الملك القوي المتين يقول للرسول ﷺ: ما معناه. خلّ بيني وبين من يكذب بهذا

الحديث ذرني لحربه. فأنا به كفيل. ومن بحرب الله يدان؟ . أهُوَ ذلك المخلوق الصغير الهزيل المسكين الضعيف. اللهم لا. وألف مرة لا. فلا قدرة لمخلوق يدفع بها عن نفسه ما ينزله خالقه. والله أعلـــم.

* * *

سبب نزول قوله تعالي: ﴿ عما يتسآءلون * عن النبأ العظيم ﴾ (النبا:١،٢) وما هو النبأ العظيم؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصـلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه وبعد :

فهذا سؤال من المولي عـز وجل فيه استنكار لتساؤل المتسائلين من المشركين عن البعث ويوم القيامة، وفيه عجب أن يكون هذا الأمـر موضع تساؤل، وكان موضوع البعث ويوم القيامة هو الأمـر الذي يجادلون فيه أشد الجدل، ولا يكادون يتصورون وقوعه.

ففي قوله تعالي ﴿ عم يتساءلون ﴾ تعجب من حالهم وتوجيه النظر إلي غرابة تساؤلهم بكشف الأمر الذي يتساءلون عنه وبيان حقيقته وطبيعته وسبب النزول أن أبي بن خلف جاء بعظم قدرَمٍ وبلي وفته بين أصابعه أمام الرسول ﷺ وقال: يا محمد أتري الله يحي هذا بعد مارَمَّ؟

فقال ﷺ: « نعم. ويبعثك ويدخلك النار» وقد أكثر القرآن من الحديث عن النبأ العظيم .الذي هو البعث واليوم الآخر، تأكيدا لوقوعه وكشفا عما يدور فيه من مواقف يوم القيامة، ومن الحشر والحساب والميزان وتطاير الصحف وأمام الأدلة الكثيرة علي وقوع البعث في اليوم الآخر.

وفي سورة النبأ الذي هذا هو مفتتحها يقيم تعالي الأدلة علي وقوع اليوم الآخر وما فيه من بعث، بالتذكير بقدرته وآثارها المثبوتة في الكون والمشاهد للخاص والعام فمن قدر علي خلق هذه الكائنات المشاهدة، فهو قادر علي بعث الأموات وحسابهم والإيمان باليوم الآخر سَدِّس العقيدة الإسلامية في حديث جبريل ، لما سألَ الرسول ﷺ

وقد جاءه في صورة بشرية أمام الصحابه سأله عن الإيمان فقال ﷺ: « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره».

والإيمان باليوم الآخر وتَذكره دائما، يدفع إلي صالح الأعمال وكريم الفعال ويمنع الإنسان من ارتكاب كل ما يغضب الله عز وجل. فهو اليوم الذي نحاسَب فيه علي ما قدمنا ويُجزَي كل علي ما عمل.. فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره... وفيه تشهد علي الإنسان أعضاءه. قال تعالي ﴿ **يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون * يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين** ﴾ والله أعلم.

* * *

قال تعالي: ﴿ **يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا** ﴾ (النبا:١٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه وبعد :

فالصور: قرن ينفخ فيه. وفي حديث الصور إن إسرافيل هو الذي ينفخ فيه بأمر الله تعالي فينفخ فيه أولا نفخة الفزع، ويُطوّلها وذلك في آخر عمر الدنيا حين تقوم الساعة علي شرار الناس من الأحياء فيفزع من في السموات ومن في الأرض، إلا من شاء الله قيل: هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وخزنة النار وحملة العرش. والحور العين ثم ينفخ نفخة القيام لرب العالمين، وهو النشور من القبور لجميع الخلائق.

﴿ **وكل أتوه داخرين** ﴾ (النمل:٨٧) أي صاغرين مطيعين لا يتخلف أحد عن أمره. كما قال تعالي: ﴿ **يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده** ﴾(الإسراء:٥٢). وفي حديث الصور أنه في النفخة الثالثة يأمر الله الأرواح فتوضع في ثقب في الصور، ثم ينفخ إسرافيل فيه بعدما تنبت الأجساد في قبورها وأماكنها، فإذا نفخ في الصور طارت الأرواح، فتتوهج أرواح المؤمنين نوراً. وأرواح الكافرين ظلمة. فيقول الله عز وجل :«وعزتي وجلالي لترجعن كل روح إلي جسدها. فتجيئ الأرواح إلي أجسادها. فتدب فيها كما يدب السم

في اللديغ» ثم يقومون ينفضون التراب من قبورهم. قال تعالي ﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلي نصب يوفضون ﴾ (المعارج: ٤٣) .

وفي حديث عبد الله بن عمرو الطويل: قال: قال ﷺ يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين، لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً، فيبعث الله عيسي ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوه، ثم يرسل الله ريحا بارده من قبل الشام فلا يبقي علي وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتي لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتي تقبضه. قال: فيبقي شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا، فيمتثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغي ليتا ورفع ليتا والليت هو صفحة العنق - أي أمال عنقه ليستمع الصيحة من السماء جيدا. فهذه نفخة الفزع، ثم بعدها نفخة الصعق وهو الموت، ثم النفخة الثالثة نفخة الإحياء، وبين النفختين الثانية والثالثة أربعون.

وعن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «ما بين النفختين أربعون» قالوا أربعين يوما. ؟ قال أبو هريرة: أبيت. قالوا: أربعون شهراً؟ قال أبيت: قالوا: أربعون سنة؟ قال أبيت وجاءت الأربعون عند غير أبي هريرة من رواية أخري. بأنها أربعون سنة. والله أعلم .

* * *

تفسير قوله تعالي ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق * يخرج من بين الصلب والترائب * إنه علي رجعه لقادر * يوم تبلي السرائر * فماله من قوة ولا ناصر ﴾ (الطارق: ٥ - ١٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

ينبه المولي عز وجل في هذه الآيات الإنسان علي ضعف أصله الذي خلق منه، ويقيم بذلك الدليل علي البعث يوم القيامة، لأن من قدر علي خلق الإنسان من المني، وهو الماء الدافق، قادر علي إعادته سمي بذلك المني لأنه يخرج دفقا من الرجل فيتولد منه مع بويضة الأنثي الجنين بإذن الله تعالي، وهذا الماء يخرج من صلب الرجل أي

ظهرة، ومن ترائب المرأة . وهي صدرها وقد ذكر المولي عز وجل أنه يعيد الإنسان في يوم تظهر فيه سرائر الناس، ولا يملك الإنسان يومئذ أن ينقذ نفسه من عذاب الله، ولا يجد من ينصره كذلك والله أعلم.

تفسير قوله تعالي ﴿ وإذا البحار سُجّرت ﴾ (التكوير: ٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكرت هذه الآية في ثنايا الحديث عن أهوال القيامة، وقد ذكر المفسرون في تسجير البحار آراء متعددة، فقال بعضهم: معناه أضرمت فتصير نارا وقال بعضهم ملئت وكتب اللغه تسمح بهذين الرأيين وليس هناك نص يقطع بتحديد المعني المراد، وتلك أمور غيبيه لا مجال للعقل فيها، فلا يقبل فيها إلا النص. والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي: ﴿ ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها ﴾ (الشمس: ٧، ١٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

أقسم المولي عز وجل بأشياء كثيرة في مفتتح سورة الشمس، والمقسم عليه قوله تعالي: ﴿ قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها ﴾ . ومن بين ما أقسم به عز وجل علي ذلك قوله تعالي: ﴿ ﴿ ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها ﴾ فأقسم بالنفس وخالقها الذي خلقها سوية مستقيمة علي الفطرة. قال ﷺ: « كل مولود يولد علي الفطرة: فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء».

وقوله: ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾ أي بين لها الخير لتفعله والشر لتجتنبه، كما يسر كل إنسان لما خلقه له. قال ﷺ:

« من كان الله خلقه لإحدي المنزلتين يهيئه لها، وتصديق ذلك في كتاب الله تعالي: ﴿ ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها ﴾ أقسم بماتقدم كله و،المقسم

عليه قوله: ﴿ قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها ﴾ أي أفلح من زكي نفسه بالطاعة، فطهرها بذلك من الأخلاق القبيحة، وقد خاب من أهمل نفسه فأذلها بالمعصية. والله أعلم.

* * *

تفسير سورة «الشرح»

بسم الله الرحمن الرحيم

روي ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « سألت ربي مسألة، وددت أني لم أسأله. قلت: قد كان قبلي أنبياء منهم من سخرت له الريح ومنهم من يحي الموتي قال: يا محمد ألم أجدك يتيما فآويتك؟ قلت: بلي يارب.

قال: ألم أجدك ضالا فهديتك؟ قلت بلي يارب. قال: ألم أجدك عائلا فأغنيتك؟ قلت بلي يارب. قال: ألم أشرح لك صدرك؟ ألم أرفع لك ذكرك؟ قلت: بلي يارب» صدق الله العظيم.

هذا والشرح الإتساع. والمراد به هنا الإتساع المعنوي، يقال: فلان رحب الصدر. أي واسعه.

وشرح صدره عليه الصلاة والسلام بما أودعه الله فيه من العلوم والحكم، حتي وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين، ومن لازمه زوال الضيق والحرج الذي يكون مع العمي والجهل.

وقيل المراد بشرح صدره ﷺ شقه وإخراج الغل والحسد منه، ثم إدخال الرأفة والرحمة والإيمان والحكمة بدلها وقد حصل له ﷺ ذلك مرتين، مرة في صغره وهو لا يزال عند مرضعته السيدة حليمة السعدية، ومرة ليلة الإسراء والمعراج قبل الإسراء به.

قال القاضي عياض في كتابه الشفاء: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: « فُرِج سقف بيتي فنزل جبريل. ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم. ثم جاء بطَسْت من ذهب ممتلئ حكمةً وإيمانا فأفرغها في صدري. ثم أغلقه ثم أخذ بيدي فعرج بنا إلي السماء. والإستفهام هنا للتقرير.

ومعني قوله ﴿ ووضعنا عنك وزرك ﴾ أي أخففنا عنك أعباء النبوه. فالمراد

بالوزر أعباء النبـوة وليس له ﷺ أوزار اقترفها، فالأنبـياء معصومون، فـلا يقعون في معصية أبدا.

وما ورد من نسبـة المعاصي إليهم. فهـومن باب حسنات الأبرار سيـئات المقربين تسمي معصية بالنسبة لعظم مقامهم فحسب.

ومعني قوله تعالي ﴿ **الذي أنقض ظهرك** ﴾ أي أثقله.

ومعني قوله ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾ قال مجاهد: لا أذكـر إلا ذُكرت معي وقال قتاده: رفع الله ذكـره في الدنيا والآخره، فليس خطيب ولا متشهـد ولا صاحب صلاه إلا ينادي بها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله.

ويكفي رفعا لذكـره قوله تعالي: ﴿ **من يطع الرسـول فقـد أطاع الله** ﴾ (النساء: ٨٠) فجعل طاعته سبحانه في طاعة رسوله ﷺ.

ولما حدَّثه سبـحانه في صدر السورة عن اليـسر بعد العسر من شـرح الصدر بعد ضيق وتخفيف أعباء النبوة عنه بعد ثقل، ذكـر سبحانه أن اليسر بعد العسر من سننه بل اليسر مع العسر بل مع العسر الواحد يسران.

قال سبحانه وتعالي: ﴿ **فإن مع العسر يسـرا إن مع العسر يسرا** ﴾ وقال ﷺ «لن يغلب عسر يسرين».

روي ابن جرير بسنده عن الحـسن قال: خرج النبي ﷺ يوما فرحـا مسرورا وهو يضحك وهو يقول « لن يغلب عسر يسرين. لن يغلب عسر يسرين فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا ».

ذلك أن العسر وإن تكرر فهو واحد. لأنه معرفة، وتعدد اليسر لأنه تكرر نكره.

فليستبشر بذلك المعسـرون ولينتظرون يسرا، ولتشرئب منهم الأعناق راجين فضل الله سبحانه وتعالي.

ثم بعد أن طمأن المولي عز وجل عباده وبشرهم ورسوله ﷺ قدوتهم، دعاه ﷺ إذا فرغ من أمور دنياه وأشغالها إلي العبادة والنشاط فيها.

فقال عزمن قائل ﴿ **فإذا فرغت فـانصب وإلي ربك فارغب** ﴾ ويفسر الآيه خير

تفسير قوله ﷺ: في الحديث المتفق علي صحته «لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان».

ذلك أن المطلوب من الإنسان ألا يقف بين يدي الرحمن إلا وهو في أكمل حالاته ما استطاع إلي ذلك سبيلا. ويقول الإمام النسفي في تفسيره لهذه الآية:

لما عدد سبحانه وتعالي نعمه السالفة ونعمه الموعود بها، حثه ﷺ علي الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها، وأن يواصل بينها فلا يخلي وقتا من أوقاته منها، فإذا فرغ من عبادة أتبعها بأخري.

قال ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» وختمت السورة بتوجيهه ﷺ إلي قصر سؤاله لحاجاته علي ربه تعالي قال سبحانه ﴿ **وإلي ربك فارغب**﴾ أي أسأله وحده حاجتك، ولا تتجه لغيره بسؤال، فهو وحده السميع المجيب ﴿ **وقال ربكم ادعوني استجب لكم** ﴾ (غافر: ٦٠) والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي ﴿ **والتين والزيتون * وطور سنين * وهذا البلد الأمين** ﴾ (التين: ١ ـ ٣) مع بيان لماذا خص الله التين والزيتون بالزكر دون سائر الأشجار.

بسم الله الرحمن الرحيم

أقسم الله تعالي بالتين والزيتون لأنهما عجيبان من بين الأشجار المثمرة.

روي أنه أهدي لرسول الله ﷺ طبق من تين فأكل منه. وقال لأصحابه «كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه، لأن فاكهة الجنة بلا عجم».

كما قال ﷺ: «نعم السواك الزيتون» أي المتخذ من شجر الزيتون.

وقيل أقسم تعالي بأماكن هبوط الوحي علي كل من عيسي وموسي ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

فالتين والزيتون إشارة إلي منبتهما وهي القدس وما حولها، وفيها هبط الوحي علي حضرة المصطفي ﷺ وشرف وكرم.

قال ابن كثير في تفسيره: وهذا يشبه ماجاء في آخر التوارة من الإشارة بهذه

الأماكن الثلاثة ففيها«جاء الله من طور سيناء، وأشرف من ساعير، واستعلن جبال فاران.

والمراد بساعير: جبل ببيت المقدس الذي بعث الله منه عيسي. والمراد بجبال فاران: جبال مكة التي أرسل منها محمد ﷺ.

ووجه تسمية مكة بالبلد الأمين أنه يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه هذا وكما قلت مرارا فلا يجوز للمسلم القسم بغير الله تعالي كما قال ﷺ:«من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت» .

وأما المولي عز وجل فيقسم بمن شاء وما شاء من خلقه .

وهو يقسم بمخلوقاته تنبيها علي شرف بعضها وإشارة إلي فائدة البعض وغير ذلك من حكم عليا. نعرف بعضها ويغيب عنا معرفة البعض الآخر . والله أعلم .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير قوله تعالي ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ﴾ (التين: ٤، ٥، ٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه وبعد :

فقد أقسم المولي عز وجل بالتين والزيتون وطور سنيين والبلد الأمين. والمولي عز وجل يقسم بمن شاء وما شاء، والعبيد لا يقسمون إلا بالله عز وجل . قال ﷺ:«من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت» .

أقسم تعالي بما تقدم علي أنه خلق الإنسان ـ أي جنس الإنسان في أحسن صورة سواء في تكوينه الجسماني البالغ الدقة والتعقيد، أم في تكوينه العقلي الفريد، أم في تكوينه الروحي العجيب .

وإلي الآن لم يحط العقل البشري بأسرار الإبداع في تكوين الإنسان الجسماني، وكذلك لم يحط خبراً بأسرار العقل البشري ذاته، فالعقل البشري عاجز عن إدراك أسرار

العقل البشري. وأما التكوين الروحي للإنسان والقوي الروحية الكامنة فيه، والتي تفجرها طاعة الله عز وجل وتنميها حتي يصير الإنسان عبداً ربانياً كما قال تعالي في الحديث القدسي «من عادي لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشئ أحب إلي مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتي أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به .

ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها . . .» الحديث .

والتركيز في هذه الآيات علي تكوين الإنسان الروحي فالإنسان مهيأ من ناحية تكوينه الروحي لأن يبلغ من الرفعة مدي يفوق الملائكة المقربين، كما تشهد بذلك قصة المعراج، حيث وقف جبريل عليه السلام عند مقام معين، وارتفع الحبيب المصطفي ﷺ وهو إنسان - إلي المقام الأسمي .

وفي هذا كله ما يشهد لخلق الإنسان في أحسن تكوين .

هذا الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تكوين، وهيأه ليسبق الملائكة المقربين، وأسجد له ملائكة، يتنكس بالكفر بربه والعصيان لأمره ونهيه حتي ينزل إلي درجة دون درجة الحيوانات . قال تعالي مشيرا إلي ذلك : ﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾ (الاعراف: ١٧٩). فالبهائم آنذاك وقد انتكس بكفره وعصيانه أرفع منه وأقوم، لاستقامتها علي فطرتها، وإلهامها تسبيح ربها، وأداء وظيفتها في الأرض علي هدي . والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي ﴿ **والعصر * إن الإنسان لفي خسر** ﴾ (العصر: ١، ٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم

اختلف في المراد بالعصر، فقيل: المراد به صلاة العصر أقسم بها تعالي للإشارة إلي فضلها، وللحث علي أدائها وقيل: المقسم به العشي وهو آخر النهار. وقيل : الزمان أقسم به تعالي للتنبيه علي أهمية الوقت، فالوقت هو الحياة، يقسم الله تعالي بذلك علي أن الناس في خسران إلا من اتصف بصفات أربع هي: الإيمان وعم الصالحات، والتواصي

بالحق والتواصي بالصبر .

والسورة في جملتها تحث علي الاهتمام بالوقت، وإنفاقه في هذه الأمور الأربعه. والحق هو جميع وجوه الخيرات، سميت بالحق لثبات الأمر بها في جميع الشرائع. والتواصي بالصبر: يشمل الصبر علي أداء الطاعات، والصبر علي ترك المحرمات، والصبر علي ما يمتحن الله تعالي به عباده من متاعب الحياة . والله أعلم .

* * *

تفسير قوله تعالي ﴿ويل لكل همزة لمزة * الذي جمع مالا وعدده﴾(الهمزة:١، ٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الويل: واد في جهنم لو أرسلت فيه الجبال لماعت من حره. وقد جعله الله سبحانه وتعالي عقوبه للهمزة اللمزة. والهماز: هو الذي يغتاب الناس بلسانه. واللماز: هو الذي يزدري الناس وينتقصهم بفعله، بتقليد حركاتهم إرداة السخرية بهم .

فالهمز: العيب باللسان، واللمز: العيب بالفعل. فلقد دخلت امرأة قصيرة علي حضرة المصطفي ﷺ. وبحضرته بعض أمهات المؤمنين، فلما خرجت المرأة أشارت أم المؤمنين بيدها اشارة يفهم منها أنها قصيرة فقال لها ﷺ :«لقد اغتبتها».

والهماز اللماز هنا. قد جمع إلي هاتين الخستين منقصة ثالثة، تلك هي انشغاله بجمع المال عن طاعة مولاه، وبهذا فقد ترك ما أمر به من طاعة مولاه.

واستغرق فيما نهي عنه من الاغتياب لعباد الله، فكان تاركا للأوامر ومرتكبا للنواهي، فاستحق العذاب بالويل .

وهذه النقائص من الهمز واللمز والانشغال بالدنيا عن الطاعة قد شاعت في الناس وذاعت، حتي أصبح الناس لا ينفرون منها ولا من مرتكبها، بل يتفكهون بأكل لحوم الناس، ويتفاخرون بما جمعوا، ولا يستحون من التقصير في الطاعة. لطف الله بهذه الأمة وأخذ بيدها إلي الخير . والله أعلم.

* * *

سبب نزول سورة الفيل وتفسيرها

بسم الله الرحمن الرحيم

يحدثنا المولي عز وجل في هذه السورة الكريمة عن صنف من جنده المشار إليه في قوله تعالي ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ (المدثر: ٣١) ومن العجب هنا أن يهزم الله القوة بالضعف وفي هذه السورة يمتن الله علي قريش بحمايته لهم ودفع عدوهم عنهم.

فلقد ابتني أبرهة الأشرم بيتا بمدينة صنعاء ليحج الناس إليه بدل الكعبة وذلك قبل الأسلام، فغضب العرب جميعاً وخاصة عرب مكة فقصد ذلك المعبد واحد من العرب وأحرقه.

فغضب أبرهة وأقسم ليهدمن الكعبة المشرفة حجرا حجرا. وجمع جيشا كبيرا وتوجه إلي مكة. وكان معه عدد من الفيله يتقدمها فيل كبير الحجم جدا وحاولت حربَه بعضُ القبائل العربية دفاعا عن الكعبة المشرفة. وهو قاصد إليها، فهزمها واحدة بعد أخري، حتي اقترب من مكة، واستاق جنده إبلها، وفيها مائة ناقة لعبد المطلب جدّ النبي ﷺ.

وهنا طلب أبرهة مقابله سيد مكه، فقابله عبد المطلب وكان جسيما وسيما، فهابه أبرهه، وأجلسه بجانبه وسأله عن حاجته، فطلب عبد المطلب إبلَه التي أخذها الجيش. فقال له أبرهة: لقد أعجبتني حين رأيتك وقد زهدت فيك حين كلمتني، تسألني الإبل وتترك البيت الذي هو دينك ودين آبائك فقال عبد المطلب: أما الإبل فهي لي. وأما البيت فله رب يحميه.

فأعطاه إبله. ثم تهيأ جيش أبرهة لدخول مكة وهدم البيت. فامتنع الفيل الذي يمثل مقدمة الجيش عن دخول مكة، وكلما وجهوه لجهة أخري سار مسرعا. فإذا وجهوه لمكة امتنع فكان امتناعه آيه من آيات الله عجيبة. ثم كانت الآية الثانية الأعجب من الأولي، مجئ مجموعات من الطيور الصغيره كالعصافير من جهة البحر الأحمر، فأظلت معسكر أبرهة وكان كل طائر منها يحمل ثلاثة أحجار حجرين في رجليه وحجر في منقاره كل حجر منها في حجم حبه العدس، ثم ألقت هذه الحجارة الصغيرة علي الجيش فمن أصابه حجر منها نفذ من رأسه إلي قدمة، وأذا كان راكبا فيلا اخترق الفيل

كذلك، حتي صار الجيش فتاتا كورق زرع أكلته الدواب وتركت منه فتاتا، هذه خلاصة تاريخية للقصة. وأما تفسير السورة. فقد بدأها المولي سبحانه بتعجيب رسوله ﷺ مما فعله بأصحاب الفيل، ثم بدأ يفصل فعله سبحانه وتعالي بهم. بقوله: ﴿ألم يجعل كيدهم في تضليل﴾ فقد كادوا للكعبة ببناء معبدهم، فضلل الله كيدهم وأبطله بإيقاع الحريق به كما تقدم، وكادوها ثانيا بتوجه جيشهم لهدمها، فضلل الله كيدهم وأبطله بحبس الفيل عن الكعبة، ثم بتسخير الطير عليهم يرميهم بحجارة من سجيل أي من الفخار. وهو الطين المحروق. ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾. أي أشبه بورق زرع أكله الدود.

والعجيب في قصتنا هذه أن يهزم الله سبحانه القوة ممثلة في جيش أبرهه وفيلته بالضعف ممثلا في صورة عصافير. مضرب المثل في الرقة واللطف والضعف وماذا تحمله العصافير. إنه حجارة صغيرة من الفخار تنفذ فيما يصادفها من أجسام، فهي تفري اللحم، وتثقب العظم. عظم الإنسان وعظم الفيل فمن أين لها هذه القوة.

لكه ألا تراه ١٦٠هنا مكمن العجب. إنه التسخير. تسخير المولي لما يملكه فيما يم سبحانه يسخر النار تارة في الإحراق والإهلاك، وتارة أخري في البرد والسلام ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً علي إبراهيم﴾ (الأنبياء: ٦٩).

ومن غير الله يفعل هذا: ﴿وما يعلم جنود ربك الا هو﴾ والله أعلم.

* * *

تفسير قوله تعالي: ﴿فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ (الماعون: ٤، ٥) وبيان قائل: الحمد لله الذي قال: عن صلاتهم ساهون. ولم يقل في صلاتهم ساهون.

بسم الله الرحمن الرحيم

يتوعد المولي عز وجل الساهين عن صلاتهم بالويل، وهو واد في جهنم لو أرسلت فيه الجبال لماعت من حره.

وقد اختلف في تحديد الساهين عن صلاتهم: قال ابن عباس وغيره: يعني الذين

يصلون في العلانية ولايصلون في السر، فالصلاة لاتعنيهم، وإنما يراءون الناس بها، ويسمي هذا النفاق بالنفاق العملي، وهو يساوي الرياء، وهو أقل خبثا من النفاق في العقيدة فمنافق العقيدة كافر، وصاحب النفاق العملي مسلم عاصٍ.

وقال مسروق هم الساهون عن فعلها في الوقت المقدر لها، فيخرجونها عن وقتها.

وقال آخرون: الساهون : هم الذين يؤخرونها عن وقتها الأول دائما أو غالبا. وقيل الساهون عن الخشوع فيها، والتدبر لمعانيها قال ابن كثير: فاللفظ يشمل ذلك كله.

ولكل من أتصف بشئ له من ذلك قسط من هذه الآية، ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها. ،وكمل له النفاق العملي لما ورد في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: « تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتي إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا » فهذا أخَّرَ الصلاة إلي آخر وقتها، وهو وقت كراهة، ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب، لم يطمئن ولم يخشع فيها، ولم يذكر الله فيها إلا قليلا، ولعله إنما حمله علي القيام إليها مرآة الناس، فهو كمن لم يصل بالكلية.

هذا. وما ذكره السائل علي أنه حديث نبوي فليس بحديث نبوي. وإنما هو من كلام عطاء بن دينار يحمد الله أن قال عن صلاتهم ساهون، ولم يقل في صلاتهم ساهون حتي يخرج من سها في الصلاة عن هذا الوعيد الشديد والله أعلم.

* * *

تفسير (سورة الفلق)

بسم الله الرحمن الرحيم

يشعر الإنسان بضعفه أمام ما يحيط به من مخاطر وشرور تترصده أينما كان، وحيثما وجد، وهو يؤمن في قرارة نفسه أنه عاجز عن دفع ما يحيط به من أخطار، وما يترصده من مهالك، وأنه بحاجة ماسة ملحة إلي عون خالقه. فهو يلجأ إليه ليحميه مما يخيفه.

وقد علمه الله من كلماته التامات المباركات ما يتوسل به إليه ليحميه مما يخيفه، علمه سورة الإخلاص وسورتي الفلق والناس روي البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان إذا أوي إلي فراشه كل ليلة. جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما علي رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات وروي الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنسان، فلما نزلت المعوّذتان أخذ بهما وترك ماسواهما وحاجة الناس جميعا إلي هذه الرقية أو الحَّمام الروحي أمس من حاجتهم إلي الحمام الساخن قبل الدخول ليلاً إلي الفراش للنوم ـ إن الحمام الساخن يذهب بأثر العرق والغبار ويريح الجسم من عناء النهار أما هذا الحَّمام الروحي بهذه السُّورَ المباركات. فإنه يذهب بآثار الأعين وهي آثار قاتله مُدَمّرَهَ.

وقد علم المولي عز وجل حبيبه ومصطفاه ﷺ. والأمة كلها في شخصه أن يقول ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ والفلق هو الصبح. وقيل: هو الخلق يستعيذ برب الخلائق من شر الخلائق. ومن أقدر من الخالق علي كبح جماح المخلوق.

وبعد إذ سأل الله حمايته من شرور خلقه أجمعين، ويَدْخلٌ فيهم نفس الإنسان السائل، فنفسُه أضر عليه من الآخرين.

فأعدي أعدائك نفسك التي بين جنبيك، حاشا نفس سيدنا رسول الله ﷺ بعد ذلك ركز الخائف علي شرور أصناف من الخلائق يتضاعف شرها تأكيدا لطلب التعوذ بالله منها وبدأ منها بشر غاسق إذا وقب، وهو الليل إذا دخل. وفي ظلمة الليل وسكون الناس فيه ونومهم طلبا للراحة من عمل النهار فرصة. وأي فرصة للأشرار للنيل من طالبي الراحة، متخذين من ظلام الليل ستارا، ومن نومهم فرصة فكانت الحاجة إلي عون الله أشدَّ لذا خُصّ الليل بالاستعاذة منه. بعد دخوله في عموم الاستعاذة بالله من شر ما خلق الله.

ثم ثني بالاستعاذة الخاصة من ﴿ شر النفاثات في العقد ﴾ وهن النسوة السواحر. قال مُجاهد: إذا رقين ونفثن في العُقَد. والنَّفْثُ: نفخ فيه قليل من الريق. ولذلك في السحر أثر كبير.

والسحر له أثر كبير. روي البخاري في صحيحة في كتاب الطب: عن عائشة رضي الله عنها. قالت: كان رسول الله ﷺ سحر حتي كان يري أنه يأتي النساء ولا يأتيهن. قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر. فقال ﷺ: «يا عاشة أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه. أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للآخر ما بال الرجل؟ قال: مطبوب. قال ومن طبه. قال: لبيد بن الأعصم رجل من بني زريق. حليف ليهود. كان منافقا. قال: وفيم؟ قال: في مشط ومشاطة. قال: وأين ؟قال: في جف طلعة ذكر. تحت رعوفة في بئر ذروان» .

قالت: فأتي النبي ﷺ البئر حتي استخرجه.

هذا وبعد الاستعاذة بالله من شر السحر أرشدنا الله تعالي إلي الاستعاذة به من شر الحسد فقال: ﴿ ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ .

وناهيك بالحسد وفيه يقول ﷺ: « العين حق »«العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر» ويقول أيضا ﷺ : «أكثر من يموت من أمتي بعد قضاء الله تعالي وقدره بالعين ».

وهكذا علمنا الله الاستعاذة به من شرور خلقه أجمعين والاستعاذة به خاصة من شرور ثلاثة أصناف من خلقه: هي الليل وظلمته، والساحر وسحره، والحاسد إذا حسد.

إن الناس في زمننا هذا قد غفلوا عن أثر السحر والحسد، وجاءت مدنية المادة فسخرت من ذلك، فترك الناس التحصن من هذين الشرين، واستجابوا جاهلين للمدنية الحديثة، وأهملوا كلام رب العالمين، قيوم السموات والأرض، فوقعوا في كثير من الأحيان فريسة لهذين الشرين، كما كانت تجهل الإنسانيه يوما الميكروب وأثره، فعمل فيها عمله، حتي اهتدت لاكتشافه. وأخذت حذرها منه.

وعمل الحسد في الناس لا يقل خطراً عن عمل أخطر الميكروبات، وعلاجه سهل ميسور لمن اهتم به وعالج نفسه منه. عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدثه أن النبي ﷺ خرج وساروا معه نحو ماء، حتي إذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وكان أبيض حسن الجسم والجلد، فنظر إليه عامر بن ربيعة فقال: مارأيت كاليوم ولا جلد مخبأة، فلبط سهل - أي صرع - فأتي رسول الله ﷺ فقال: «هل تتهمون به من أحد ؟» قالوا: عامر بن ربيعة. فدعا عامرا فتغيظ عليه. فقال: «علام يقتل أحدكم

أخاه؟هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت؟» ثم قال: «اغتسل له» فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح .

ثم أمر بأن يصب ذلك الماء عليه رجل من خلفه علي رأسه وظهره ثم يكفأ القدح ففعل به ذلك ،فراح سهل مع الناس ليس به بأس .

رواه أحمد والنسائي وصححه ابن حبان .

تـــم والحمـــد لله

الدكتور / الحسيني أبو فرحه
رئيـــس قسم التفسيـــر جامعـــة الأزهـــر
وعميد كلية الدعوة الإسلامية
الأسبـــــق

فهرس الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٣
السوَر المفضله قراءتها في القرآن الكريم . والساعات والأيام المفضلة قراءتها فيها .	٤
تقسيم الله الناس . إلي مؤمنين، وكافرين ومنافقين . ووصف كل منهم .	٥
دعوة الناس جميعا مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم لعبادة الله وحده .	١٧
الكلمات التي قيلت لآدم عليه السلام . فقالها فتاب الله عليه .	١٨
تفسير قوله تعالي«ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت . . . الآية . ولا صلة لهذه الآية بنظرية القرود أصل الإنسان .	٢١
تكذيب الله لبني إسرائيل في دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم . دون غيره .	٢٣
نفي الله عز وجل عن سيدنا سليمان الكفر وبيان أن الشياطين هم الذين علموا الناس السحر .	٢٦
كتمان اليهود لصفات سيدنا رسول الله ﷺ الموجودة في كتبهم . والتي تشهد له بالنبوة والرسالة، وحكم الله عليهم بسبب ذلك بسبعة أحكام .	٢٨
تفسير قوله تعالي «وكلوا واشربوا حتي يتبين لكم الخيط الأسود من الفجر» والتوفيق بين هذه الآية وبين الإمساك عند إطلاق مدفع الإمساك .	٢٩
جواز الأكل والشر والجماع للصائم ليلا حتي طلوع الفجر . بعد تحريم ذلك عليه في صدر الإسلام إذا نام قبل الفجر .	٣٠
اختلاف المفسرين في تفسير قوله تعالي«هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة . . . .» .	٣١
الحديث عن مرحلة من مراحل تحريم الخمر .	٣٣
أعظم آية في كتاب الله وتفسيرها وبيان فضائلها .	٣٤
الحث علي الإنفاق من طيب الكسب .	٣٦

لماحديث القرآن عن نشأة الإنسان . ٣٨
تزيين الله للناس حب الشهوات في الدنيا وتفضيل ما عند الله في الدار الآخرة . ٣٩
حديث القرآن عن مريم بنت عمران وما أكرمها الله به من خوارق العادات . ٤٢
لماذا كان المسلمون خير الأمم ؟ . ٤٤
الموت حق علي جميع العباد فالرسول ﷺ يموت وعلي الأمة الثبات
علي الإسلام . ٤٦
الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون . ٤٧
التوكل علي الله مفتاح النصر والفرج . ٤٩
العفو عن المشركين وأهل الكتاب والصبر علي أذاهم رجاء إسلامهم. ٥٠
أخذ الله الميثاق علي أهل الكتاب ألا يكتموه عن الناس. ٥٣
قوله تعالي: «لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم
يفعلوا. . . . الآيه. لها مزيد اختصاص بأهل الكتاب والمنافقين وإن كانت
تشمل كل من فرح بما أتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل. ٤٥
مقارنة بين حال الكفار وحال المؤمنين المتقين. ٥٥
حل مشكلة من لم يجد قدرة ماليه علي نكاح الحرائر العفيفات
المؤمنات ويخشي الوقوع في الزنا إذا لم يتزوج. ٥٦
الإسلام يحلل نكاح الإماء عند العجز عن نكاح الحرائر فقط حتي
لا يتسبب الأب في استرقاق لمالك الأمة. ٥٨
الله سميع بصير أزلا وأبدا. وفعل «كان» في مثل قوله تعالي: «إن الله
كان سميعاً بصيرا» يفيد مع الذات الإلهية الدوام والاستمرار. ٥٩
الإسلام والإيمان: إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعني. وإذا افترقا
في الذكر اتحدا في المعني. ٥٩
الإسلام يمنع المسلمين من قتال من أعلن الشهادتين. ٦١
ما يحرم أكله من الحيوان. وسبب تحريمه. ٦٢
نزلت سورة الأنعام جملة واحدة. وشيعها سبعون ألف ملك عند نزولها.
وحفظها جملة واحدة رسول الله ﷺ. ٦٤

تفسير قوله رتعالي:« قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والأرض الآية. ٦٤
جواز خلط مال اليتامي، بمال الوصي. إن كان ذلك في صالحهم. ٦٦
تفسير قوله تعالي:«وما أرسلنا في قرية من نبي... الآياب» ٦٦
تفسير قوله تعالي:« ولو أن أهل القري آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم
بركات منه والسماء والأرض.....الآيات ». ٦٧
تفسير آخر للآيات السابقة. ٦٩
تفسير قوله تعالي:«واتل عليهم نبأ آتيناه آياتنا فانسلخ منها.....الآيات». ٧٠
تفسير قوله تعالي:« انفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم
في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون». ٧٢
سبب تكرار الإيمان والتقوي ثلاث مرات في قوله تعالي:«ليس علي الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ...الآية. ٧٤
المراد بالصلاة في قوله تعالي:« أقم الصلاة طرف النهار وزلفا من الليل إن
الحسنات يذهبن السيئات... وفي الآية دليل علي أن الصلاة طريق للتوبة. ٧٥
تفسير قوله تعالي «ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند
بيتك الحرام .... الآية . ٧٧
تفسير قوله تعالي «ربنا اغفرلي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب »
ولماذا لم يدع للمؤمنات أيضاً . ٧٧
تفسير قوله تعالي «وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل
باب منهم جزء مقسوم » . ٧٨
تفسير قوله تعالي «وأوحي ربك إلي النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا
ومن الشجر ..... الآيات . ٨٠
تفسير قوله تعالي « والله فضل بعضكم علي بعض في الرزق . الآية . ٨١
لماذا قال سبحانه في افتتاح سورة الإسراء «سبحان الذي أسري بعبده ولم يقل
:برسوله . ٨١
تفسير قوله تعالي«ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا» ٨٢
تفسير قوله تعالي «وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو
معذبوها عذاب شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا » . ٨٤

تفسير قوله تعالي «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن» . ٨٤
قصة أهل الكهف كما جاءت في القرآن الكريم . ٨٥
تفسير قوله تعالي «المال والبنون زينة الحياة الدنيا » وشرح قوله سبحانه: «إنما أموالكم وأولادكم فتنة » . ٨٦
تفسير قوله تعالي «وإذ قال موسي لفتاه لا أبرح حتي أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا .... الآيات . ٨٧
تفسير قوله تعالي «فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا » . ٨٩
تفسير قوله تعالي « ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلي الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شئ عالمين » . ٨٩
تفسير قوله تعالي «وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادي في الظلمات .... الآيات . ٩٠
تفسير قوله تعالي « وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين . ٩٢
تفسير قوله تعالي: «الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة الآيات. ٩٣
تفسير قوله تعالي: « الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات. . .الآية. ٩٤
تفسير قوله تعالي: « الله نور السموات والأرض. . . ،الآية. ٩٦
تفسير قوله تعالي: « يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحكم منكم ثلاث مرات. . .الآية. ٩٧
تفسير قوله سبحانه: «وليس علي الأعمي حرج ولا علي الأعرج حرج ولا علي المريض حرج». ٩٨
تفسير قوله تعالي: « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم. . . الآية ٩٩
تفسير قوله تعالي: « وهو الذي مرج البحرين هذا عذاب فرات وهذا ملح أجاج. . . .الآيات. ١٠١
تكذيب قوم نوح له ورده عليهم. ١٠٢
المؤمن الصالح الذي قال لسيدنا سليمان: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك. ١٠٣

تصوير لبعض مشاهد يوم القيامة. في قوله تعالي:«فنفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض. . .الآية وفي قوله« ويوم ينفخ في الصور ففزع من في الأرض. . .الآية. ١٠٥
قدرة الله علي إخراج الحي من الميت. وقوله سبحانه:« يخرج الحي من الميت. .الآية. ١٠٦
التعريف بمن يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله. في قوله سبحانه :« ومن الناس من يشتري لهو الحديث. . . الآيات. ١٠٧
بيان سبب إسناد توفي الأنفس لله تارة، ولملك الموت تارة ثانية ولأعوان ملك الموت تارة ثالثة. ١١٠
تفسير قوله تعالي:« يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن. . .الآية. ١١١
الأمانة التي حملها الإنسان. وكان ظلوما جهولا. ١١٢
عموم بعثته للناس كافة وللجن كذلك. ١١٥
تفسير قوله تعالي:« إنما يخشي الله من عباده العلماء. ١١٥
تفسير قوله تعالي:« ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا. . .الآيات. ١١٧
تفسير قوله تعالي:« وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله. . .الآية. ١١٩
تفسير قوله تعالي:« ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون» . ١٢٠
تفسير قوله تعالي:« إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب . . . الآيات » . ١٢١
تفسير قوله تعالي في وصف شجرة الزقوم:« طلعها كأنه رءوس الشياطين الآية . ١٢٢
تفسير قوله تعالي:« إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة . . . الآية» . مع الرد علي من زعم من القصاص أن سيدنا داود قد دفع بأحد جنوده إلي المعركة ليظفر بزوجته .
فتنا
معني الجسد في قوله تعالي:« ولقدأسليمان وألقينا علي كرسيه جسدا » الآية . ١٢٣
تفسير قوله تعالي:« يكور الليل علي النهار ويكور النهار علي الليل . .الآية. ١٢٤
تفسير قوله تعالي:« خلقكم من نفس واحدة. ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج. . .الآية . ١٢٤

تفسير قوله تعالي: « أمن هو قانت الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه » الآية . ١٢٦
تفسير قوله تعالي: « قل ياعبادي الذين أسرفوا علي أنفسهم لا؟ تقنطوا من رحمة الله . . . الآية . ١٢٧
لماذا لم يجعل الله الناس كلهم مسلمين ؟ وما تفسير قوله تعالي: « فريق في الجنة وفريق في السعير . . . » الآية . ١٢٧
تفسير قوله تعالي: « قل لا أسألكم أجرا إلا المودة في القربي » . ١٢٨
تفسير قوله تعالي: « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة . . . الآيات . ١٢٧
تفسير قوله تعالي: « قالت الأعراب آمنا . . »الآية . ١٣١
تفسير قوله تعالي: « لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » وبيان اليوم الذي يكشف فيه غطاء الوجه ؟ . ١٣٣
تفسير قوله تعالي: « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد . . » الآية . ١٣٤
تفسير قوله تعالي: « يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد » . ١٣٥
تفسير قوله تعالي: « والطور وكتاب مسطور . . . » الآيات . ١٣٦
تفسير قوله تعالي: « والنجم إذا هوي . . .» الآيات . ١٣٧
تفسير قوله تعالي: « ألا تزر وازرة وزر أخري . وأن ليس للإنسان إلا ما سعي . .» الآيات . ١٣٩
تفسير قوله تعالي: « ولمن خاف مقام ربه جنتان » . ١٤٠
تفسير قوله تعالي: « يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا . . . » الآية . ١٤١
تفسير قوله تعالي: « يا أيها النبي لمَ تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم » الآية. ١٤٢
تفسير قوله تعالي: « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة. . .الآية. ١٤٣
تفسير قوله تعالي: « يوم يكشف عن ساق ويدعون إلي السجود فلا يستطيعون. . . الآيات. ١٤٤

سبب نزول قوله تعالي:« عم يتسألون عن النبأ العظيم » الآيات ويبان النبأ العظيم . ١٤٦
تفسير قوله تعالي:« يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا » الآيه. ١٤٧
تفسير قوله تعالي:« فلينظر الإنسان مم خلق. خلق من ماء دافق. .الآيات. ١٤٨
تفسير قوله تعالي:« ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها. . .الآيات . ١٤٩
تفسير سورة « الشرح». ١٥٠
تفسير قوله تعالي:« والتين والزيتون وطورسينين وهذا البلد الأمين. مع بيان لماذا اخص الله التين والزيتون بالذكر دون سائر الأشجار. ١٥٢
تفسير قوله تعالي:« لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ». ١٥٣
تفسير قوله تعالي:« والعصر إن الإنسان لفي خسر. .الآيه. ١٥٤
تفسير قوله تعالي:« ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده». ١٥٥
سبب نزول سورة الفيل وتفسيرها. ١٥٦
تفسير قوله تعالي:« فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ». ١٥٧
تفسير سورة الفلق. ١٥٨

تم بحمد الله